العقيدة الاسلامية

كتاب يحتوي على

ذكر شهادات علماء اوربا واشهر كتابها على فضل
الدين الاسلامي في نشر المدنية وارتقاء العمران

مع

بيان الاساسات الجوهرية التي بنى عليها هذا الدين
المبين وتطبيقها على القواعد العقلية والاصول الفلسفية

الفه بالانكليزية

الشيخ عبد الله كويليام

شيخ الاسلام في الجزائر البريطانية

وعرب الى العربية بقلم الفقير اليه تعالى

محمد ضيا

ومترجم «آداب النساء التركية وتعليمهن في الا[illegible]

١٠

عقيدة الاسلامية

كتاب يحتوي على

علماء اوربا واشهر كتابها على فضل

ي في نشر المدنية وارتقاء العمران

مع

الجوهرية التي بنى عليها هـذا الدين

لى القواعد العقلية والاصول الفلسفية

الفه بالانكليزية

شيخ عبد الله كويليام

سلام في الجزائر البريطانية

العربية بقلم الفقير اليه تعالى

محمد ضيا

التركية وتعليمين في الاستانة العلية » وغيره

طبعه أولى

١٨٩٧-١٣

ديه بغيط النوبي بدرب الجنينه بمصر

العقيدة الاسلامية

كتاب يحتوي على

ذكر شهادات علماء اوربا واشهر كتابها على فضل الدين الاسلامي في نشر المدنية وارتقاء العمران

مع

بيان الاساسات الجوهرية التي بنى عليها هـذا الدين المبين وتطبيقها على القواعد العقلية والاصول الفلسفية

الفه بالانكليزية

الشيخ عبد الله كوبليام

شيخ الاسلام في الجزائر البريطانية

وعرب الى العربية بقلم الفقير اليه تعالى

محمد ضيا

مترجم «آداب النساء التركية وتعليمهن في الاستانة العلية» وغيره

طبعه أولى

١٣١٥-١٨٩٧

طبع بمطبعة هنديه بغيط النوبي بدرب الجنينه بمصر

English Lessons.

Terms Moderate.

دروس انكليزية باجرة متهاودة

من يرغب ان يتعلم اللغة الانكليزية باجرة متهاودة فليخابر مترجم هذا الكتاب وهو يضمن له تعليمها باسهل طريقة واقرب زمن . وهو مستعد ايضاً لتعليم هذه اللغة بكامل فروعها في اي مدرسة من المدارس فمن له رغبة فليخابره بالعنوان المذكور في صحيفة ١٦٤ وهو يجاوبه في الحال .



﴿ الشيخ عبدالله كويليام ﴾

شيخ الاسلام في الجزائر البريطانية

ولد سنة ١٨٥٦ واسلم سنة ١٨٨٧

وألف هذا الكتاب سنة ١٨٨٩



﴿ صاحب العزة والمقام السامي ﴾

﴿ حسين بك فهمي المحامي ﴾

العقيدة الاسلامية

العقيدة الاسلامية

كتاب يحتوي على

ذكر شهادات علماء اوربا واشهر كتابها على فضل
الدين الاسلامي في نشر المدنية وارتقاء العمران

مع

بيان الاساسات الجوهرية التي بني عليها هـذا الدين
المبين وتطبيقها على القواعد العقلية والاصول الفلسفية

الفه بالانكليزية

الشيخ عبد الله كويليام

شيخ الاسلام في الجزائر البريطانية

وعرب الى العربية بقلم الفقير اليه تعالى

محمد ضيا

مترجم «آداب النساء التركية وتعليمهن في الاستانة العلية» وغيره

طبعه أولى

١٣١٥-١٨٩٧

طبعت في مطبعة هنديه الكائنة في غيط النوبي بدرب الجنينة بمصر

﴿ ترجم باذن خصوصى من مؤلفه ﴾

(بتاريخ ٢٨ اغسطس سنة ١٨٩٦)

اهداء الكتاب

الى

رافع راية المدنية . ونصير الملة الحنيفية . الفذ الخطير والجهبذ النحرير . عزتلو افندم حسين بك فهمي المحامي الشهير حفظه الله واطال بقاه

سيدي الفاضل

هذا حياك الله وبياك . واطال للاسلام بقاك . وحفظك ورعاك . كتاب العقيدة الاسلامية . الذى نقلته الى العربية في مدينة اسيوط البهية . جعلته لك هدية ادبية . وما دعانى الى اهداءه لك . وتقديمه اليك . الا وافر فضلك . ووارف ادبك . وكريم شيمك . ولان هذه الشمائل لم تتوفر فى غيرك هذا ولى الامل الوطيد ان تحظى هديتي هذه بالزلفى لديك . وتنال سدرة القبول بين يديك . وعهدي انك لا تخيب المأمول ولا برحت شمس فضلك مشرقة لا يعتريها افول .

المخلص

(محمد ضيا)

﴿ فاتحة المترجم ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي لم يلد فيكون مولودا . ولم يولد فيصير محدودا . سبحانه جل عن اتخاذ الابناء . وطهر عن ملامسة النساء . والصلاة والسلام على من صدع بما امر به . وبلغ رسالات ربه فاقام دعائم الحق على اساس متين . وهدم اركان الباطل بالبرهان المبين . سيدنا (محمد) عبده ورسوله الذي خفقت بوجوده اعلام المدنية بعد الاعفاء . وتمهدت معالمها في جميع البطاح والارجاء . وعلى آله واصحابه وخلفاءه البررة الاتقياء . الذين ساروا على نهج الملة الحنيفية السمحاء . فاستحقوا بذلك وافر الثناء . من الاعداء والاصدقاء

اما بعد : فلا يخفى ان بعضاً ممن استهوتهم الاغراض واصيبت قلوبهم بمرض التعصب والتحامل على المسلمين فوقوا في هذه الايام سهام التقريع والتنديد على الدين

الاسلامى المبين وحاولوا ان يطفئوا نور الله بافواههم ويسدلوا ستار الاوهام على عقول العامة بسفاسط اقوالهم مدفوعين الى ذلك بعامل الجهل والغرور . ولما كان الله يأبى الا ان يتم نوره ولو كره المفسدون ويمزق ستار الاوهام ولو غضب المموهون اوجد لهذا الدين انصارا واعوانا من غير اهله يناضلون عنه في كل زمان ومكان ويقرون على رؤوس الاشهاد بسامى فضائله ومزاياه التى لا يأباها عقل كل ذي ذوق سليم أوتي شيئاً من حرية الضمير وشرف المبادىء وحسن الآداب

ونحن اظهاراً للحق وتفنيداً للباطل اجبنا داعى الانسانية الى ترجمة هذا الكتاب لنثبت قولهم « والفضل ما شهدت به الاعداء » ونلجم السنة المكابرين الذين خالفوا شروط التمدن واهتضموا حقوق الامم بوجوه اشد صلابة من صخور المقطم بلجام من حديد حتى لا تكون لهم ثمة حجة او باب يلجون منه لادراك غاياتهم السافلة ونواياهم الخبيثة والله يهدي من يشاء الى سواء السبيل (ضيا)

فاتحة المؤلف

وهي الفاتحة الثالثة لثالث طبعة من هذا الكتاب

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الانبياء والمرسلين وعلى آله واصحابه اجمعين

اما بعد : لما كانت الخمسة آلاف نسخة التي تضمنت الطبعة الثانية من هذا الكتاب قد نفدت باجمعها صار من الواجب طبعه مرة أخرى . ولقد كان للطبعة الاخيرة حظا حسنا باطلاع جلالة الخليفة امير المؤمنين وسلطان تركيا عليها وتفضله بالاعلان عن ارتياحه منها . ولقد وردت طلبات كثيرة من سير اليون ولاجوس وجهات أخرى من غرب افريقيا ومن رأس الرجا الصالح والترنسفال في الجنوب من هذه القارة . ومن هنغاريا وجزائر فيليبين واستراليا حتي من هنغ تشنغ في الصين وتوبولسك في سيبريا وكلها في طلب اقتناء هذا الكتاب هذا وقد اتيح لنا طبعه واخذنا في ترجمته واعداده للطبع بلغات أخرى — كالتركية والجرمانية والبنجالية والتاميلية (لغة سكان

الهند الجنوبية)

وقد وجهت جل اعتنائي في هذه الطبعة وتهذيبها ومراجعة كل سطر منها على الاصل الا انى قد توسعت في كثير من المواضيع باكثر من الاول . وغايتى من ذلك ان اقدم طرفا وافيا جامعا عن ديانتي بقدر الاستطاعة والامكان دون تطويل في الزيادة تطويلا غير لازم . وانى لعلى يقين بان مطالعة هذا الكتاب الصغير ربما تنير غاشية الضالين وتهديهم بسهولة الى معرفة الحق اليقين « ان علينا للهدى » (عبد الله كويليام)

ليفربول في ٣ رمضان سنة ١٣٠٩ هجرية

الموافق ٢ ابريل سنة ١٨٩٢ مسيحية

العقيدة الاسلامية

انا عند ما نري ان الدين الاسلامى قد كثرت علاقاته مع الدولة البريطانية وان كثيرا من المسلمين يعيشون تحت جناح سلطانها وسلطة احكامها نري انه من العجيب جدا ان لا يعرف في الغالب الا الشيء اليسير عن هذا الدين وعن تاريخه وعن الذين يدينون به ويتعلقون باهدابه . وخلاصة الامر فان جهل الكثيرين بهذا الدين جهلا مطبقا قد يطوح بهم الى مهاوي الغواية وتذهب بهم افكارهم الغبية الى اثارة الخواطر على المسلمين وشنّ الغارة الشعواء عليهم بما يدور في رؤس البعض منهم من الغباوة والجهل مع ان من واجبات البشر ان يعيش الناس معا بسلام ويعامل بعضهم بعضا بالحسنى بدلا من العداوة والبغضاء بقدر الاستطاعة والامكان . ونحن لا يمكننا التوسع في مثل هذا الباب اذ التكلم فيه كمن يستودع الريح التراب

وما اشد قبحا واكبر هوسا من الاعتقاد الذي يخالج افئدة السواد الاعظم من الشعب الانكليزي في انكلتره حيث

يعتقدون ان تابوت النبي محمد (عليه الصلاة والسلام) مركب من الفولاذ ومعلق بين الارض والسماء بحجارة من مغناطيس . ومع ان هذه الخرافة التي تضحك الثكلى توالت عليها الاعوام والاحقاب الا انها لم تزل موضوع الاعتقاد عند اكثر القوم ومحور التداول بينهم في اللغة الانكليزية كانها فصل من فصول شيكسبير — نابغة شعراء الانكليز —

واكثر هذه الخزعبلات التى توجب الاسف يعزي منشأها ولا شك الى القسس الذين اذاعوها في اوربا ايام الحرب الصليبية (١) وتصرفوا في عوائد المسلمين ومعتقداتهم بمثل هاته الاراجيف الخبيثة ليموهوا بها على عقول طوائفهم الساذجة وليبثوا فيهم روح الغيرة لحشد الذخائر وتعبئة الجيوش لاجل « خلاص الارض المقدسة من قبضة الكفار » اى المسلمين . ومن العجيب ان هذه الاراجيف لم تزل تطبع وتنشر على قدم

---

(١) راجع صحيفة ١٤ من « الهدية الشرقية الدينية » لمعرب هذا الكتاب تجد منشاء هذه الحرب المشؤمة وعلى من تلقى تبعة تلك الدماء المسفوكة .

وساق بين الشعوب التى تتكلم بالانكليزية بواسطة ارباب الجمعيات الدينية وزعماءها ليسلبوا الناس اموالهم بهذه البضاعة المزجاة حيث هم اعرف من غيرهم بغباوة العامة وطرق خداعهم . ولذلك فاننا سنطلق للقلم عنانه ونثبت في الصفحات الآتية من هذا الكتاب ما نصلح به افكار كل من نطق عن الهوى وضرب في هذا الدين اخماسا في اسداس ونشرح للناس ما هى « العقيدة الاسلامية »

واوجز شرحا للعقيدة الاسلامية واصدق قولا ما اثبته داود اركوهارت David Urquhart في مقدمة الجزء الاول من كتابه الجليل المسمى « روح الشرق » المطبوع سنة ١٨٣٩ حيث قال ما نصه :

« ان الاسلام دين لا يأمر باتباع عقائد جديدة ولا يقول بتنزيل وحي جديد او سنن جديدة ليس فيه كهنوتية او معابد سياسية . فيه دستور الامم ونظام الممالك كما هو واضح في هذا الدين باوضح بيان »

لعمرى لقد صدع اركوهارت بالحق وشهد له بالاصالة في

القول كثيرون مثل بالجراف Palgrave وفامبيري Vambéry ورولنسون Rawlinson ولايارد Layard ورولاند Rowlland وستانلي اف الدرلي Stanley of Alderley ودي شونسكي De Chonski وغيرهم ممن اجمعوا على استحسان اقواله وتأييد مبادئه . ولا غرو فان كل سائح جاب البلاد الاسلامية وعاشر المسلمين معاشرة داخلية وامتزج بهم حكم بفضلهم وجنح الى رعايتهم . ولكن مع كل هذا فان معظم الافكار في بريطانيا العظمى باقية على غير هدى من الحق لان اكثر الناس به لا يعلمون وما ذلك الا لان اغلب المتكلمين بالانكليزية قد نشأوا على مبادىء الشيع المسيحية المختلفة وطبعوا على التعصب الاعمى والاغراض السافلة الامر الذى يعدونه مبداء قويا واساسا جوهريا في ديانتهم . وناهيك بما حصل لكانن اسحاق تيلر Canon Isaac Taylor رئيس كنيسة الانجليكان تشارش — الكنيسة الانكليزية — حين دفعته يد البسالة وساقته الاقدار الى القاء خطبته الغراء في احدى مؤتمرات هذه الكنيسة ووجه فيها سهام اللوم والتنديد نحو المتحاملين على الاسلام والمسلمين دبت روح

التعصب الديني في اعضاء هذا المؤتمر وانقضوا عليه بقضهم وقضيضهم واوسعوه ملامة وسباً واشبعوه زجرا وعتبا

وهذه الخطبة التي فاه بها كانن تيلرفي مؤتمر الكنيسة المذكورة في ولفر هامبتون بتاريخ ٧ اكتوبر سنة ١٨٨٧ ورددت صداها جريدة التيمس فى اليوم الثانى من هذا التاريخ جديرة بالاعتبار واستلفات الانظار . ونحن لضيق المقام وعدم الفسحة في الوقت لا يمكننا ان نأتي على نصها برمتها ولكننا لا نضرب كشحا عن ذكر طرف منها وهاك نص ما فاه به هذا القيس : —

« ان الاسلام قد سبق النصرانية بمراحل شاسعة في اكثر جهات العالم ـ همهمة ودمدمة ـ ليس فقط من جهة المسلمين الذين كانوا وثنيين واسلموا اكثر من الذين تنصروا . كلا بل لان النصرانية في بعض الجهات اخذت فى التقهقر الى الوراء امام الدين الاسلامى فى حين ان الوسائل التي نستعملها لتنصير الامم الاسلامية يفشل امرها والشباك التي ننصبها لهم تتقطع حبالها فاننا لا نرجع فقط بصفقة المغبون بل ربما خسرنا راس

المال ويصدق علينا قول من قال . على نفسها جنت براقش

والدين الاسلامى يمتد الآن من مراكش الى يافا ومن زنجبار الى الصين ويخطو في داخل افريقيا خطوات كبيرة وتعتنقه امم كثيرة وقد خطى بنفسه وثبتت قدمه في الكونغو وزاميزى وصارت بلاد اوجندا — اقوى البلاد السودانية واشدهن بأسا — اسلامية باجمعها . اما في الهند فان التمدن الغربي الذي يهدم اركان الوثنية فانه انما يمهد الطريق للدين الاسلامى لا غير فسكان الهند البالغ قدرهم ٢٥٥ مليون نسمة منهم (١) ٥٠ مليونا الآن مسلمون . وسكان افريقيا باجمعهم اكثر من النصف منهم مسلمون . وليس هذا باول تقدم للاسلام يلزم بيانه والبحث في سرعة انتشاره بل هو عدم الخلط والخبط فى اصوله وبنيانه الامر الذى جعل له مكانا

(١) اثبتت الاحصائيات الحديثة ان عدد المسلمين في الهند ٥٧٣٦٥٢٠٤ وعدد المسيحيين بما فيهم من الاورباويين المقيمين فيها ٢٢٨٤١٩١ وقد احصى عدد الذين اعتنقوا الاسلام في الهند فقط في العشرة سنوات الاخيرة بما قدره ٥ مليون تقريبا . — فيكون عدد المسلمين في الهند وحدها ٦٢٣٦٥٢٠٤ —

ثابتا فى قلوب اهله وكل من تدين به بخلاف النصرانية فانها
مزعزعة الاركان قل ما يكون لها ثبات عند الانسان لما فيها
من التبديل والتغيير والتحريف والتحوير . اجل فقد اعتنق
الاسلام امة بحذافيرها في افريقيا صفقة واحدة ولم ترتد الى
الوثنية قط ولم تعتنق النصرانية قط . . . . . الاسلام افاد
التمدن اكثر من النصرانية ونشر راية المساواة والاخوية
وهذه الادلة نذكرها نقلا عن تقارير الموظفين من الانكليز
وعن ما كتبه اغلب السواح عن النتائج الحسنة التى نتجت من
الدين الاسلامى وظهرت آياتها منه فانه عند ما تتدين به امة
من الامم السودانية تختفى من بينها في الحال عبادة الاوثان
واتباع الشيطان والاشراك بالعزيز الرحمن وتحرم اكل لحم
الانسان وقتل الرجال ووأد الاطفال وتضرب عن الكهانة
ويأخذ اهلها فى اسباب الاصلاح وحب الطهارة واجتناب
الخبائث والرجس والسعى نحو احراز المعالى وشرف النفس
ويصبح عندهم قرى الضيف من الواجبات الدينية وشرب
الخمر من الامور الغير مرضية ولعب الميسر والازلام محرمة

والرقص القبيح ومخالطة النساء اختلاطا دون تمييز منعدمة
يحسبون عفة المرأة من الفضائل ويتمسكون بحسن الشمائل .
اما الغلو في الحرية والتهتك وراء الشهوات البهيمية فلا تجيزه
الشريعة الاسلامية . والدين الاسلامي هو الدين الذي يعمم
النظامات بين الورى ويقمع النفس عن الهوى ويحرم اراقة
الدماء والقسوة في معاملة الحيوان والارقاء يوصي بالانسانية
ويحض على الخيرات والاخوية يقول بالاعتدال في تعدد
الزوجات والعدل في الاسترقاق وكبح جماح الشهوات وزيادة
عن ذلك فان الاسلام عفيف بالكلية عن الشركات الدينية
التجارية . وفي غنى عنها بالمرة . التجارة الاوروباوية تمهد
وسائل المسكرات وتساعد على ارتكاب المنكرات وتسوم
الشعوب خسفا واذلالا واعتسافا وضلالا . والاسلام ينشر
لواء المدنية. المدنية التي لا تشوبها ادنى شائبة . المدنية التي تعلم
الانسان ما لم يعلم . المدنية القائلة بالاحتشام في الملبس الآمرة
بالنظافة والاستقامة وعزة النفس. فمنافع الدين الاسلامى منافع
لا ريب فيها وفوائده من اعظم اركان المدنية ومبانيها . حتى م

لا ننظر الى المصاريف الباهظة والانفس الغالية التي ذهبت سدى في سبيل تنصير افريقيا - اى اهلها - والنصرانية اذا اعتنقها الف فالاسلام يعتنقه مليون . هذه هى النقط المهمة التي يجب الالتفات اليها والامور التي يلزم ان لا نتناساها فهى لعمرى امور محزنة ومن الحماقة ان نتجاهلها . ها قد آن ان نعترف بان الاسلام ليس بعدو للنصرانية بل مفيد لها . الاسلام كان سياجا حصينا لدين ابراهيم وموسى دون غيره . الاسلام دين عام وليس كاليهودية منحصرا في امة واحدة بل منتشر في جميع ارجاء المسكونة . والمسلمون يعترفون باربعة انبياء كرام وهم ابراهيم خليل الله . وموسى نبي الله . وعيسى روح الله . ومحمد رسول الله (١) . . . .
أننا اذا قلبنا الطرق لا نجد في اعمال محمد ونبوته شيئا يناقش النصرانية الحساب ويقف لها بالمرصاد بل نراها الحد الفاصل

(١) ان المسلمين يعترفون بستة من كرام الانبياء فيعترفون باثنين آخرين زيادة عن الاربعة المشار اليهم وهما آدم صفى الله ونوح نجيّ الله . الا ان كانن تيلر اغفل ذكرها — على ان الانبياء الواجب معرفتهم تفصيلا ٢٥ نبيا —

بين اليهودية والنصرانية . هذه اليهودية الصادقة (اي الديانة الاسلامية) انتشرت بسرعة في افريقيا وآسيا لان زعماء النصرانية من الافريقيين والسوريين ابدلوا دين المسيح بما كانت ترمي اليه اهواءهم واوجدوا عقائد أخرى من تلقاء ذاتهم وتظاهروا في مقاومة الشهوات البشرية بالرهبنة والعذوبية وجعلوا طريقة الانعكاف عن العالم طريقا لقضاء غاياتهم النفسانية واتخذوا القداسة والرهبنة ستارا للفسق ولاعمالهم التضليلية حتى ضل الناس واشركوا بالواحد القهار واتخذوا لفيفا من هؤلاء القديسين والرهبان اربابا من دون الله . فلما جاء الاسلام استأصل شأفة هذه الخزعبلات وقضى على جميع الاباطيل والترهات وحصلت مناظرات دينية ثم أقيمت الحجة الثابتة على استهجان العذوبية واعتبار الزواج كاليل للتقوى الحقيقية وانه من اوليات القواعد الدينية اذ فيه بيان قدرة الخالق ووحدانيته وجلاله وصمدانيته فالاسلام هو الذي حض على الزواج وابطال الرهبنة ورفع عن الارقاء غارب الخشونة والمظلمة وامرهم بحسن المعاملة واوجد الاخاء بين بني الانسان

ودل على معرفة اطوار حياته فى سالف الزمان . . . . .
والفضائل التى يؤكد عليها الاسلام ويوصى بها جميع الانام هي ما يمكن لابسط الناس معرفة ان يفقهها ويعمل بها وهي: العفاف والنظافة . والطهارة والعدالة . والثبات والشجاعة . والاحسان والكرم والاستقامة . والتسليم فى الامور الى من بيده زمام الجمهور . فمن السهل تهذيب الاخلاق بهذه الفضائل الجلية ونبذ ما يسمى بالوصايا الربانية لعدم موافقتها لكل ذى نفس ذكية . اما الاخاء وما ادراك ما الاخاء فانه فى النصرانية كالعنقاء اما فى الاسلام فانه اخاء ياله من اخاء . اخاء ومساواة بين كل المسلمين (١) وهو امر ليس بالقليل الاهمية فى هذا الدين فان من يعتنق الاسلام يدخل فى الحال ضمن دائرة قوم رحماء فيما بينهم له ما لهم وعليه ما عليهم ويصير عضوا فى جمعية اخوية حية

(١) انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون سورة ٤٩ الحجرات

تشمل ١٥٠ مليونا (١) من النفوس البشرية . اما من يعتنق النصرانية فلا يكون له حظ في حقوق الهيئة الاجتماعية. فالاسلام بلا مراء اخاء ليس فيه رياء . نعم اننا لدينا عبارات كثيرة من قولهم « اخوان واعزاء واحباء » ولكنها جميعها طي الخفاء فهى في الوجود اعز من بيض الانوق . وبالجملة فان الاسلام اتت منه سعادة حقيقية وافاد المدنية وحسبه هذه الفوائد السنية .... وان الشيئين الذين هما حجرا عثرة كبيرة في سبيل تنصير افريقيا — الضمير مستتر سياسياً تقديره اهلها — فانهما تعدد الزوجات والاسترقاق فان محمدا شابه موسى في عدم منعهما وربما كان ابطالهما

(١) هذه الارقام بعيدة جداً عن الحقيقة فقد احصى عدد المسلمين في العالم بما قدره ٢٤٠ مليون نفس — وهذا العدد ايضاً لم يقرب من الحقيقة فقد ثبت ان عدد المسلمين يزيد عن ٣٠٠ مليون من البشر عدا الامم السودانية والقبائل الاسيوية التى لم يتيسر احصاءها للآن . راجع خطبة العالم الفاضل محمد روحي افندي الخالدي التى القاها في باريس في ٢٢ فبراير سنة ١٨٩٦ عن الدين الاسلامى ونشرت في جريدة المؤيد بتاريخ ٧ ابريل من هذه السنة عينها

من اصعب الامور ومجلبة الشرور الا انه (اي النبي صلى الله عليه وسلم) بذل الجهد في تخفيف وطئتهما وتقليل الرغبة فيهما وعلى كل حال فالاسترقاق ليس من العقيدة الاسلامية في شيء فاباحه محمد للضرورة كما اباحه موسى وبولس وهو عند المسلمين اخف وطئة والين جانباً من استرقاق الهنود في ولايات اميركا المتحدة (١) اما تعدد الزوجات فمسألة من الصعوبات . فموسى لم يحرمها وداود اتاها وقال بها ولم تحرم فى العهد الجديد (اي الانجيل) الا من عهد غير بعيد ولقد اوقف محمد الغلو فيها عند حد معلوم . وعلى كل فان مسألة تعدد الزوجات امر شاذ كثيرا عن الدستور المعمول به في البلاد الاسلامية المتمدنة كبلاد الترك في اوربا والجزائر والقطر المصرى (٢) وتعدد الزوجات بكل ما قيل

(١) اخوانكم خولكم فاطعموهم مما تطعمون والبسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم من العمل مالا يطيقون « حديث النبي محمد »

(٢) ان تعدد الزوجات لم يكن معروفا عند اهل كريت البالغ عددهم ٤٠ الف نفس من المسلمين كما جاء في صحيفة ٣٨٨ من الجزء الثانى من كتاب « روح الشرق » تأليف اركوهارت

فيه من القول الهراء والقى عليه من مقذوفات الهجاء فلا يخلو من الفائدة فقد ساعد على حفظ حياة المرأة واوجد لها في الشريعة حسن المساعدة . وتعدد الزوجات في البلاد الاسلامية اقل اثماً واخف ضررا من الخبائث التي ترتكبها الامم المسيحية تحت ستار المدنية . وان تعدد الزوجات الجاري حسب النصوص الاسلامية لاقل انحطاطاً للمرأة والرجل بالكلية من تعدد الازواج (١) فى النصرانية الذي فشي امره في اكثر البلاد المسيحية وصار فيها كضربة لا تطاق وهو في البلاد الاسلامية لا يعرف له اسم على الاطلاق . ولعمري الحق ان ذوي هذا المذهب الذين ذهبوا فى التنديد على تعدد الزوجات كل مذهب ليس لهم ادنى مسوغ في اعتراضاتهم المجحفة ولا ان ينطقوا ببنت شفة . فلنخرج يا قوم الخشبة التي في اعيننا اولا ومن ثم نتقدم لاخراج القذى من اعين غيرنا . وان الاربعة آفات التي في البلاد الاسلامية — كتعدد الزوجات والاسترقاق والتسرى

(١) اي جواز تزوج المرأة باكثر من رجل — فتأمل

والطلاق — فانها ليست منحصرة في ثلب كرامة الاسلام . وانى لمتوقع ان هاته الآفات قد عمت عموم الولايات المتحدة الامريكية — بلاد يطلق عليها اسم النصرانيـة وتسكنها امة بينها وبين الانكليز صلات اهلية — ..... فلنفقه بان آداب الاسلام في بعض الاحوال اسمى من آداب النصرانيـة بلا جدال . وان ما عند المسلين من شريف الخصال كالتسليم في الامور الى ذي الجلال وتمسكهم بالعفاف واظهار الولاء واتباع الاستقامة ثم الاخاء لاحسن ما يجب ان نتشبه به وننسج على منواله . الاسلام نهى عن المسكر والميسر والخنى ـ الثلاثة خبائث السائدة في بلادنا . الاسلام اقرب مشابهة الى الديانة النصرانية التي كانت ذات سلطة قوية تتسلط بهـا على الامم الشرقية او الجنوبيـة وهو ارقى واسمى من اساطير الكنائس القبطية والاثيوبية »

وخطب كانن تيلر اصابت شهرة في اعمدة جريدة التيمس ورمقها الناس بعين الاعتبار وكثير من خطبه هذه جديرة بالذكر واعادة النشر ولكن ضيق المقام لا يسمح لنا بنشر اكثر

من خطبة واحدة له .

وجاء بقلم المستر جوزف تومبسون Joseph Tompson الرحالة الافريقي الشهير من ايد نبرج بتاريخ ١٠ نوفمبر ما نصه (١) :

« قد علمت بالتجربة والاختبار مقدار الاخطار الناشئة من التسليم والاعتراف باي خير او منفعة في اي دين من الاديان الخارجة عن دائرة الحقيقة او شبهها . او ابداء اي انتقاد على الاسلوب المصطلح عليه عند زعمـاء الكنائس لاتساع دائرة مذاهبهم اذ انتقادات الباحث لاريب في انها لاتصادف قبولا وتؤدي الى الفضيحة والعار بينما اختباراته الحقة تنبـذ ظهريا وترفض قطعيا ولكن عن قريب سينكشف السـتار ويعلم بان الكنائس والقائمين بالدعوة لها لم يخرجوا من الظلمات الى النور . وعندي ان مثل هؤلاء كمثل حاطب الليـل وبعبارة أخرى كمن يصنع زجاجا ذي الوان مختلفة . ولقد كنت اود لو اكون موجودا وقت اختلاف الآراء وخبطها خبط عشواء

(١) هـذا الخطاب نشر في جريدة التيمس الصادرة بتاريخ ١٤ نوفمبر سنة ١٨٨٧ .

عن شرق افريقيا واواسطها وغربيها حيث شاهدت النصرانية والديانة المحمدية (١) متلاصقتين كتف لكتف في بلاد السودان . ولقد تناظر في هذا الصدد قوم من مكاتبيكم وقالوا ان الاسلام في شرقي افريقيا وجهات منابع النيل قائمة قواعده الاساسية على التجارة في الرقيق وجميع وسائل القسوة والانحطاط سبحانك ان روايات كهذه مجردة بالمرة عن الحقيقة لايمكن تصديقها ولا تصور وقوعها . واني بدون تردد اثبت واقول عن سعة خبرة واطلاع عن شرقي افريقيا واواسطها بما ليس فى امكان مكاتبوكم ان يأتوا بمثله ـ انه لو كان للنخاسة وجود في هذه البقاع فما ذلك الا لان الاسلام لم يدخل فيها وبرهان ذلك ان انتشار الاسلام من خصائصه ابطال النخاسة

(١) ان المسلمين لايقولون عن ديانتهم محمدية — اى ان الواضع لها محمد — ولا يعبدون نبيهم هذا باى عبادة قط كما يتوهم البعض واسم محمديه ليس من الدين الاسلامي في شئ وهو مرفوض عندهم وانما يطلقونه على الاسلام لنسبته للنبي وشهرة تأييده له — وهذا ما يشابه ما جاء في رسالة بولس كرنثوس الاولى اصحاح ١ عدد ١٢ حيث يقول « انا لبولس وانا لا بلوس وانا لصفا »

ابطالا دائما

والدين الاسلامى لم يوعظ به عند أولئك السودانيين ولم تنبعث اشعة نوره في هاتيك الاصقاع والربوع لان عرب مسقاط لا يلوون عنان رغبتهم عن التجارة في الرقيق فلو انعكست الحال ودخل الاسلام بينهم لاصبح الناس اخوانا مسلمين وتبطل النخاسة وهو ما لا يرضاه هؤلاء الاعراب لميلهم اليها . ولا يفوتكم ان كثيرا من تجارنا المسيحيين ناسجين على هذه الطريقة ولعلكم تثقون ثقة تامة بانهم من اشد المعارضين لدخول الارساليات المسيحية التي من دينهم فى هذه البلاد التى اتخذوها مرسحا لتجارتهم ان لم يكن من المعروف لديهم ان اعتناق اهل هذه البلاد للنصرانية مناقض لاغراضهم على انه من الصواب ان تناقش بعض الامم في ديانتها لاصلاحها متى كانت بعيدة بالمرة عن المدنية

ولقد قيل باشد القول ايضا ان دين محمد (عليه الصلاة والسلام) غير منتشر في القسم الشرقى من القارة الافريقية . نعم هذا القول لا ريب فيه وقد ابديت على ذلك سببا قويا

قبل الآن وها انا اتبعه بآخر مثله . وان الاسلام مثل النصرانية دخل بين الامم السودانية بواسطة امة اجنبية ـ امة من كل الوجوه اسمى وارقى منها ـ امة تدعوهم باسم واشرزى اى المتوحشين . والعربي المسقاطى يفصل بينه وبين السودانى خليج متسع ليس في استطاعة الثانى ان يعبر منه ولذلك لا يتعدى بلاده ولا يميز بين الغث والسمين ولا يدرى شيئا عن اديان واخلاق القوم المتمدنين . وانى عند ما اثبت امتداد النخاسة وانتشارها في الجهات الشرقية من اواسط افريقيا حيث لا اسلام هناك الا اسميا كذلك اثبت بالبرهان ان هذه الديانة التي يمقتونها كثيرا ويخوضون في ذمها بكرة واصيلا قامت بخدمة جليلة في هاتيك الاصقاع فقد ابطلت انتشار تجارة المسكرات فيها . وفي زنجبار نفسها حاول سلطانها ايقاف تيار هذه التجارة ولكنه لسوء الحظ اخفق مسعاه ولم يفلح في متمناه حيث الامم المسيحية عارضت في كل ما من شأنه ايقاف مثل هذه التجارة عند حدها . وانى بسرور اقول ان هذا السلطان قد اطلقت له الآن يد الحرية في انفاذ قوانين

ديانته في اكثر الجهات واتي بعمل يذكر فيشكر في منع سريان الفساد الى آداب السودانيين السريعي الانخداع . ولكن الى متى يدوم منع هذه المفاسد وقد بدت الآن « طلائع التمدن » الجرمانى واخذت تنهال على البلاد بما هو ظاهر للعيان

ولنزدلف الآن الى غربي افريقيا والسودان الاوسط ـ حيث اتاحت لي الفرص زيارة هذه الجهات ايضا ـ فاقول اننا اذا قلبنا الطرف واجلنا النظر نجد اختلافا شاسعا وفرقا واسعا في الامور الجارية فيها . نجد الاسلام كجسم قوي تدب فيه روح الحياة والنشاط وتتحرك فيه عوامل الحماسة والاقدام كما كان في ايامه الاولى فترى الناس تدخل فيه افواجا افواجا وتقبل عليه باقبال عجيب يشبه ايامه السالفة . نرى فيها اشعة نوره منبعثة في شوارع سيراليون وآخذة في انارة بصائر القبائل المنحطة في وهاد الجهالة الآكلة لحوم البشر عند منبع النيجر . وان دعاة الدين المسيحي يحاولون قلب الحقائق والقاء تبعة آثام النخاسة على عاتق الاسلام ويسعون بكل قواهم الى تحقير الدلائل الدالة على تقدمه وتحريفها في غرب واواسط

افريقيا . وتراهم لقصورهم عن ادراك مزايا هذا الدين المبين يصفون انتشاره بداهية دهماء وبلية شعواء على الافريقيين ويقولون — كما لقن اليهم في حداثتهم — بان دين محمد لم تقم له قائمة الا بقوة النار وصلصلة المرهف البتار . ولذلك تراهم يرسمون السوداني في حالة يرثى لها وقد اشبع ضربا على سيقانه وحرقت خباءه من ورائه وشد على زوجاته واولاده بحبال في جيدهم يسحبهم رجال غلاظ القلوب ليسومونهم سوء العذاب . وترى صورة رجل مسلم قد صور على شكل شيطان مريد كأن قلبه قد قدّ من حديد واقف على رأسه ومشهرا السيف في يده مخيرا له واحدة من اثنين « الموت او الاسلام » هذه هي التخيلات المطبوعة في اذهانهم والتي يشيعونها عن انتشار الاسلام — وهي على ما اظن تصورات توارثوها جيلا فجيل

ولحسن الحظ اتاحت لي الفرص فشاهدت انتشاره بنفسي ورأيت خلاف ما عنه يزعمون . رأيت ان اعظم فتوحات الدين الاسلامي في اواسط السودان وغربه كانت على يد

جماعة سليمى الطوية منخفضي الجناح — فالذي كان قائما بنشره واتساع دائرته في الازمان السالفة راعيا كان يدعى فيللانى وكان يفترش الارض ويلتحف السماء وفي الازمان الحاضرة كان القائم بامره تاجرا ذا همة واقدام يقال له هوذا او نوبيه . وفي اوائل القرن الثانى عشر كان ذاك الراعي يجهد نفسه فى نشر لواء ديانته من بحيرة تشاج الى الاوقيانوس الاتلانتيكى فحصل من ذلك ان اشرقت شمس الدين الاسلامى في سماء هذه الجهة باجمعها وظهرت فيها في اواخر القرن الماضي عدة فئات قليلة من المسلمين لم يكن يعوزهم الا رئيس يحمي ذمارهم ويدفع عن هذه البلاد غائلة الوثنية وينادي فيها بوحدانية الخالق ذي الجلال والاكرام فقيض الله لهم في بدء هذا الجيل رجلا يسمونه فوديو فلم يمض قليل زمن حتى ساد الاسلام وامتد جناح سلطانه بسرعة غريبة على بلاد شاسعة واسعة وانتشرت سلطته على القبائل المتبربرة فاصاب من ذلك فوزا عظيما ونجاحا غريبا

ولقد اسلفت ان زعيم الدين الاسلامي في هذه السنوات

الاخيرة هو التاجر المعروف باسم هوذا او نوبيه فان هذا التاجر السودانى كان يعتمد في مهماته على تقواه ويستعين بها في اعماله وكان يتوغل في كل قبيلة على مسافة بعيدة من بلده ويختلط بالوثنيين المتبربرين اختلاط الحابل بالنابل كانه فرد من افرادهم وكان يبيت مع الواحد منهم في بيت واحد ويأكل معه من طعام واحد وكان اينما حل او سار لا يألو جهدا في اتساع نطاق ديانته واظهار مزاياها الخالية من الالتباس والوعظ بها بين الناس . وفي الحقيقة ان الفرائض والسنن التي يعظ بها لا يعسر فهمها على اخيه الوثني ولا تخرج عن قوة ادراكه وهذا التاجر كان يقيم تارة بينهم شهرا على هذه الحالة وطورا ستة اشهر أو سنة . وفي خلال هـذه المـدة تراه موضوع التعجب والاستحسان لنظافة ملبسه ولذلك تنكب الناس الذين حوله على تقليده واتباع طريقته وهم لا يرون شيئا نصب اعينهم الا وتتطلع اليه اماقهم وتشرأبّ نحوه اعناقهم وليس في ديانته شئ يشكل عليهم معرفته .وعلى هذا المنوال انغرست بذور المدنية بين عدة قبائل همجية ونمى بينها الاسلام نموا

هائلا الى حد رن فيه صدى هذه البلاد وملأ الآفاق وها هو يقام فيها في الصباح والظهر وما يلي ذلك من الاوقات كلمة المناداة في الاسلام — الآذان — فبعد ما كان الناس يسجدون اولاً للاشجار ويعبدون الاحجار صاروا يسجدون الآن لله الواحد القهار وتلك الشفاه التي كانت تتحرك بلذة على اكل الانسان صارت تمجد عظمة الله وتعترف برحمته

وان لم يكن بني انتشار الاسلام في كل حين على مثل هذه الوسائل السلمية فهل من شئ يستوجب التعجب والاستغراب ؟ ألم ندع منذ ثمانية عشر جيلا تقريبا بان لا نرغم الناس على اعتناق ديانتنا وخالفنا هـذا الادعاء ؟ فيا ليت شعرى على م العجب الآن اذا كان السودانيون الغيورون على انتشار ديانتهم يلتزمون في بعض الاحيان أن يدخلوا ما في ديانتهم من السعادة والرفاء بوسائل القوة بين اخوانهم الذين لا يفقهون والذين هم على العناد يصرون ؟ »

وخطب القس لوازون Loison الفرنساوي الشهير في حاضرة البلاد التونسية على ملاء من العظماء والعلماء

والوجهاء من مسلمين وغير مسلمين عن الدين الاسلامي تخلب الاسماع وسحر الالباب حيث قال (١) : —

« مضت ست قرون وربع على نزول صانت لويز بعساكره الجرارة على شاطئ قرطجنة بنية اغتصاب هاته البلاد من ايدى المسلمين وبقصد تنصير ملكها « المستنصر بالله الحفصى » والروايات في ذلك كثيرة ولا يجدر بهذا العصر الذي توجت عزته باكليل الحرية حكاية مثل ذلك الكلام بل الواجب اليوم هو السعى في محق ما بقى من الحقد القديم الذي كان سبب افتراق المسلمين والنصارى مدى قرون . والبحث بطريقة صادقة عن الفروق الموجودة الى اليوم بين الفريقين حتى يتسنى تقريبهم من بعضهم بما فيه خير الانام وسلامة الاستقبال

وهل يعسر ذلك على من ينظر بعين الانصاف ؛ افلا ترون موافقة الديانة الاسلامية لكثير من اصول الديانة النصرانية اذ كلتاهما دين الله سوى ان الاسلامية كان ظهورها برسالة

(١) هذه الخطبة نشرت في جريدة الحاضرة التى تصدر من نس بتاريخ ٣ دسمبر سنة ١٨٩٥

محمد (صلى الله عليه وسلم) وهى اخت الديانة النصرانية . وقد قال الوزير دولمارتين De Lamartin الشاعر المشهور الذي امتلأ قلبه بحب الاسلام لاحد اصحابه من أولي الشأن ما يختلج بفكره من محاسن الديانة المحمدية فاجابه المخاطب قائلا : انني اراك ممتدحا للاسلام بما يشعرنى أن الملة العربية هي عين النصرانية بتحريف فاوقفه الوزير ملقنا اياه بقوله « انها نصرانية منقحة لا محرفة ولو يسمح لي بان اعطى فكرا في ذلك لاقول انها — اي الاسلامية — نصرانية مهذبة بسيطة يحيط بها سياج من المدنية » . وعليكم بما جاء في التاريخ من حالة العرب قبل البعثة المحمدية وماكان عليه اقوام جزيرة العرب وما والاها من الظلمة والجهل والضلال المبين من عبادة الاوثان والسجود الى الاصنام التى لا تضر ولا تنفع والانهماك في المحرمات وارتكاب الموبقات وارذل الفواحش مما جاء ذكره بعد ذلك بالوحي الرباني في كتاب الله (١) – القرآن –

(١) هنا اشار حضرة الخطيب للآية الكريمة « واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم » سورة النحل

الذي انزله على قلب نبيه ورسوله « سيدنا » محمد الذي هدمت
لبعثته الاصنام وتمزق لنبوته رداء الجهل الذي كان كغشاوة
على ابصار العرب . واشرق بصقعهم نور ياله من نور وهو
نور حكمة القرآن الذي انزله الله على صدر نبيه المبعوث
لا محالة لارشاد البشر والله يعلم حيث يجعل رسالته . فمحمد
بلا التباس ولا نكران من النبيين والصديقين وهو رسول
الله القادر على كل شيء . بل وانه نبي عظيم جليل القدر
والشأن امكنه بارادة الله تكوين الملة الاسلامية واخراجها
من العدم الى الوجود بما صار اهلها ينيفون عن الثلثمائة مليون
من النفوس وداسوا بخيولهم سلطنة الرومان وبرماحهم قطعوا
دابر اهل الضلالة الى أن صارت ترتعد من ذكرهم فرائص
المشرق والمغرب . واذا ادركتم الآن معنى الاسلام فعليّ ان
ازيدكم ايضاحا بان اقول لكم ان مبنى الديانة النصرانية شيآن
وهما بنوة عيسى (تعالى الله عن ذلك) ووجود الخالق تعالى
ففى الاول يقول المسلمون كلاماً معقولا وهو — ان المسيح
(عليه السلام) ليس ابنا لله وانما هو من روح الله . لان الله

لم يلد ولم يولد . وفي معتقدي ان عيسى ليس ابنا بمعنى البنوة
كما في الآدميين وانما اطلقت عليه تلك الصفة لتقربه من
ربه وقد ساعفنى الحظ بان سالت عن ذلك عالما حجة لما
زرته لبضع أيام وهو شيخ الاسلام بتونس الطائر الصيت
بسائر الآفاق الاسلامية الذي تمحضت حرية افكاره باتمائه
للحق فاجابتني حضرته العلية (بما ان آدم عليه السلام خلق
من دون أب وأم وان أم البشر حواء عليها السلام خلقت من
أب وهو آدم من دون أم فلا تعجب من خلق المسيح من أم
ولا أب) . فاقنعنى جوابه والآن احتج به لديكم . ثم ان
للمسيح عند المسلمين منزلة رفيعة كسائر النبيين (صلوات الله
عليهم) وناهيك بان موضع قبره كائن بالروضة النبوية بالمدينة
(نورها الله) حذو محمد وصاحبيه وهو القبر الذي يقبر فيه
يوم يلبي دعوة ربه بعد ان ينزل الى الدنيا في آخر الزمان .
واما الشيء الثانى الذى هو وجود الخالق وتنزيهه عن الند
والنظير مع وصفه بالقدرة والعلم والعلو والوحدانية .
فالاسلام والنصرانية فيه سواء سوى ان المسلمين لما عرفوا

جلال الله القادر على كل شيء بسطوا اكف الضراعة وأقروا
بعجزهم وطلبوا منه الرحمة والمغفرة والعافية في الدنيا والعفو
في دار السلام والنصارى جهلوا خالقهم وزاغوا عن الطرق
ولذلك تجد المسلمين في رفعة عن النصارى من هاته
الحيثية . ولا ترى فيهم واحدا يكفر بالله كما تفعل النصارى
في كل حركة وسكون وما اهتدى مئات الملايين الى الاسلام
الا ببركة محمد الذي علمهم الركوع والسجود لله وابقى لهم
دستورا لن يضلوا بعده ابدا وهو القرآن الجامع لمصالح دنياهم
ولخير اخراهم الذي جاء به في آية (وان خفتم ان لا تعدلوا
فواحدة) فيما يتعلق بمسألة تعدد الزوجات التي تنتقدون فيها
على المسلمين ظلما وعدوانا اذ لا شك في انكم تجهلون عدل
النبي بين ازواجه (رضوان الله عنهن) وحبه فيهن حبا متساويا
مما علم المسلمين الانتماء للانصاف بينهن . على ان القرآن لم
يأمر بتعدد الزوجات بل جاء بالحظر مع الوعيد لمن لا يعدل
في الآية المتقدمة ولذلك ترى اليوم جميع المسلمين الا القليل
لا يتزوجون الا امرأة واحدة خوف الوقوع تحت طائلة

ما جاء من الانذار في القرآن المجيد . واذا سلمنا على العموم بان
عدم تعدد الزوجات اوفق للمعاشرة الدنياوية من تكررهن
فلا نسلم بالاعتراف بذلك على الوجه المتعارف اليوم باوربا من
حصر الزواج في امرأة واحدة ازعانا للقانون واتخاذ عدة
ازواج اخرى وراء الجدار . احداهن بالمخادعة والاخرى
بالمراوغة والاخرى بالملاعبة والاخرى بالمداعبة لقضاء شهوة
حيوانية او لغرض نفساني شيطاني ثم ينكشف الحجاب فيظهر
بعدئذ ان الواحدة امرأة رجل آخر وان الثانية بكر عذراء
والثالثة اغترتها الظواهر والمخادعة ولا يلبث الشقي الذى كان
سببا في هتك حرمتهن ان يفرعنهن فينتج عن ذلك طلاق
الواحدة وانتحار الاخرى وهلم جرا ولذلك كان الواجب على
من اوكل اليهم مصلحة الجمهور بالبلاد المسيحية ان يتخذوا تدابير
فعالة لزجر أولئك المفسدين الضالين وان يكافئوهم
اشد المكافئات . (تصفيق استحسان)

على ان شرائع ابراهيم ويعقوب وداود وموسى (عليهم
السلام) جاءت كلها بترخيص تعدد الزوجات وهم كلهم انبياء

بنص الانجيل ومن العجيب ان النصارى ينسبون المسلمين
للتأخر بسبب تسليمهم الى القدر . وذلك من الغلط المحض
لان المسلمين راضون بما كتب الله لهم وهو اذعان لله لا للعبد .
ومن المحقق انهم لا يلقون بايديهم الى التلف ولا يسلمون انفسهم
جزافا لحوادث الاستقبال لان صريح شريعتهم خلاف ذلك .
وناهيك بالنور الذي اضاء على العالم من سماء بغداد ومن قرطبة
اذ من المعلوم ان في ذلك العهد الذى بلغت فيه الحضارة
الاسلامية الى الغاية التي لا تدرك كانت اوربا في دياجي الجهالة
وكان الرهبان يرحلون لاخذ العلم بالبلاد الاندلسية . واليكم
راموزا من ذلك وهو البابا (سلفستر) الفرنساوي الاصل .
وبالجملة فديانة الرجل الذي يقول : — اطلب العلم ولو في
الصين . تحرص على السعي كما ترون من عبارات هذا الحديث
البين لا على السكون ولذلك كان من الواجب لتقرب المسلمين
من النصارى ان لا نبخسهم اثمانهم بل نعينهم ونحضهم على
العمل بما في القرآن الحاث على العلم والتعلم ونقول لهم بان العلم
الذى امرتم بطلبه ولو بالصين هو صار لديكم تخذوه من

فرنسا الحالة بين اظهركم في البلاد
والآن احيي عصر الحكمة التي وفقت لها الدولة الفرنساوية
من فتح مدرسة فقهية اسلامية بباريس لترشيح حكام واساتذة
ترجع اليهم القضايا التي تحكم فيها المجالس الافريقية . ونؤمل
ان يد المسلمين تكون جائلة فيها جولانا كليا كما ان المسجد
الاسلامى المعزوم على تأسيسه بالعاصمة الفرنساوية هو حسنة
كبرى تجد ثوابها الحكومة الفرنساوية لان ذلك المسجد بيت
الله يؤمه عبيده لذكر اسمه . وقد اتفق اني توجهت للجزائر
فزرت بكل احترام بعض جوامعها ولما دخلت لمصلى تلمسان
والمسلمون في حالة الصلاة وسمعت توحيد الباري جل جلاله
لم اتمالك بان قلت مثلهم لا اله الا الله واردفتها بمحمد رسول
الله وحرضني على قولها مشاهدة الصلاة وركوع المسلمين
وسجودهم لله . واذا قلنا ان أولئك المسلمين هم من الذين
اهرقوا دماءهم واستماتوا في الحرب البروسيانية للذود عن
حوزة فرنسا حتى كاد بزمارك — هو بسمارك السياسى الالمانى
الشهير — ان يتميز من الغيظ علمنا ان اتحاد فرنسا مع المسلمين

اعود نفعا من اتحادها مع روسيا

فمن واجب فرانسا والحالة تلك ان تبر بالمسلمين الذين تحت سلطتها او في حمايتها حتى تكون مملكتها اسلامية نصرانية . وقد قال الامبراطور بونابارت (ان الفرنساويين جديرون بان ينعتوا بالاسلام) وهو رجل من حكماء هذا القرن . كما يجب على السلطنة العثمانية التي تحفها اليوم اخطار شديدة مراعاة ذمة النصارى الذين في قبضتها لتكون سلطنة عادلة متكونة من مسلمين ونصرانيين تحت راية عدل واحد لان مملكة الاسلام لم يؤت عليها الا من ظلم الملوك واتباع الشهوات بحيث انى ارى من اعظم الوسائل التي تحقق نجاح الاستقبال بقاء مكة (زادها الله تكريما) قاعدة دينية للمسلمين جميعا والاستانة قاعدتهم السياسية حيث كانت هى مركز الخليفة الاعظم . وباريس تصير قاعدتهم العلمية يغترفون من بحرها الزاخر ويردون من منهل علمها الساهر واذ ذاك يتآخى المسلمون والنصارى اخاء سلميا لا بالرماح ولا بالسلاح كما وقع في عصر الحروب الصليبية التي حشدت اليها الملل النصرانية

من الملوك الى الفقير الصعلوك بداعى افتكاك مفاتيح بيت المقدس للمسلمين . فابى الله الا بقاءها الى هذا اليوم في ظل اشعة سيوفهم لمصلحة النصرانية ومنع مذاهبها المختلفة من الشقاق وما قررناه هو الصواب . وليس على فرنسا الا تنفيذ مغزاه لتنطق ألسنتنا بان لا اله الا الله ان الفرنساويين يعملون بحكم الله » اه

وقد خطب ايضاً هذا القسيس الشهير (لوازون) خطبة شائقة عن الدين الاسلامى في الاوبره الخديوية بمصر في ٢١ فبراير سنة ١٨٩٦ وها هى بنصها وفصها : —

« ان (١) للقادم على مصر لاول وهلة دهشة اكثر من دهشة كل قادم على سواها . ولقد اتيتها ولي صفتان فرنساوى ومسيحي . فاما أنا بصفتى الاولى فلا اوثر ان يكون لقومى أدنى تغلب سياسي في هذه البلاد وانما اقول ان مصر ما استيقظت من نومها لتدخل في دور نهضة جديدة الا على

(١) هذه الخطبة نشرت في جريدة المؤيد الصادرة بتاريخ ٢٢ فبراير سنة ١٨٩٦

دوى مدافع الاهرام بالقرب من اجداث الفراعنة الاقدمين

ولقد تنبأ نابليون يومئذ كعادته ففاه بهذه العبارة سوف يكشف الزمان معناها الخفي وهي (الفرنساويون هم المسلمون الحقيقيون) وأنا اتوسم التقرب والامتزاج بين النصارى والمسلمين في هـذه البـلاد - مصر - التي هي بلاد التوراة كفلسطين نفسها والتي كانت منتشب غالب الحروب الدينية وأرى هذا التقرب لحقيقة منتظرة الحصول حيث يكون سواها طلبا صعب المرام

ولا يخفى ان المسيحيين بوجه العموم لا يعرفون الاسلام بل وكثير من المسلمين قليلوا معرفة بدينهم او هم يعرفونه على غير وجهه الحق . وحينئذ فلا بد للوصول الى حقيقة هذا الدين من الرجوع الى اصله والكلام على واضعه ان صح ان يقال ان محمدا واضع الاسلام . على انه هو - محمد - يتبرأ من ذلك كما في آية (وماكان هذا القرآن ان يفترى من دون الله ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين)

ولقد كان ابراهيم واسماعيل بحكم القرآن مسلمين ويروى عن محمد (صلى الله عليه وسلم) انه قال : - (كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه) . وجاء في القرآن - (ولكل امة رسول) وورد فيه ايضاً (ولقد بعثنا في كل امة رسولا) ومحمد بعث رسولا من العرب - اى من جنس العرب وليس من قبلهم -

عاشت بلاد العرب الازمان الطويلة عاكفة على عبادة الاصنام وتوغلت في ذلك حتى صارت في احتياج الى انقلاب ديني عظيم . وكان العقلاء من بين عظماءها لا يرون ان يكون هذا الانقلاب الا رجوعا الي ملة الجد الاعظم ابراهيم . ومن هؤلاء النفر المبشرين (زيد بن عمرو) الذى كان من عادته ان يجاور ذلك البيت المنسوب بناءه لابراهيم والذى هو اليوم ملتقى حجاج العالم الاسلامي باسره وكان زيد في مجاورته الكعبة ينكر على قومه عبادة الاوثان وتدنيس هذا البيت المقدس بها ثم يقول (الهي لو عرفت دينا يرضيك لاتبعته ولكني لا اعرف) الا ان هذا النداء الذى حرم زيد سماعه

قد سمعه محمد وهو في غار جبل حراء حيث كان معتكفاً يعبد الله زمانا طويلا فرأى في نومه وسمع لاول مرة الملك جبريل (عليه السلام) . والنوم كما قال هو اول تجلى الانبياء - (اول ما يكون الوحي الرؤيا الصالحة) - وعند ما استيقظ شعر كان كتابا رقم على صفحة قلبه

ولما قص محمد الخبر على خديجة وقال لها لقد خشيت على نفسي أجابته كلا والله ما يخزيك الله ابدا انك لتصل الرحم وتحمل الكلّ وتكسب المعدوم وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق (ولعله الدهر)

ثم التقى بعد هذا العهد قرب الكعبة بابن عم لامرأته خديجة يدعى (ورقة بن نوفل) وكان نصرانيا وشيخا كبيرا وقد اخبره خبر ما رأى فقال له ورقة هذا الناموس الذي نزل الله على موسى ليتنى فيها جزعا ليتنى اكون حيا اذ يخرجك قومك . لم يأت احد قط بمثل ما اتيت به الا عودي وان يدركني يومك انصرك نصرا مؤزرا

وبعد عشرين سنة مضت من ذلك التاريخ اى في سنة

٦٣٠ دخل محمد مكة المقدسة ظافرا . فقد آثر هذا النبي الجهاد وقهر السيف السيف ثم جاء بيت الله (الكعبة) في احتفال عظيم . وكانت الكعبة اصبحت محل معبودات جميع قبائل الصحراء حيث جمع فيها ٣٦٠ صنما فكان النبي يقف امام كل واحد منها رافعاً عصاه ويقول (لقد جاء الحق فليزهق الباطل) ثم يكسره فيهوى تحت اقدامه

وليس محمد نبي العرب وحدهم بل هو ايضاً افضل نبي قال بوحدانية الله فان دين موسى وان كان من الاديان التى أساسها الوحدانية الا انه كان قوميا محضاً وخاصاً ببني اسرائيل ولم يكن التعبد عليه ممكناً الا في بيت المقدس . اما محمد فقد نشر دينه بقاعدتيه الاساسيتين وهما الوحدانية والبعث وقد اعلنه لعموم البشر في انحاء المسكونة وانه لعمل عظيم يتعلق بالانسانية جملة وتفصيلا عند من يدرك غايته

فالديانة المحمدية اذن مع كونها من بعض الوجوه خاصة بالعرب وبعصر ظهورها هى للنوع الانسانى الديانة العامة الخالدة

اما المسيح الذى يدعوه النصارى ابن الله ويسميه المسلمون روح الله – وفي العبارتين تشابه يرجع لمعنى واحد لو فسرتا بالوجه اللائق – فلا يمكن ان يكون في صف من تقدم لانه ولد من عذراء ورفع بعد ذلك للسماء حتى يهبط منها في آخر الزمان ليرفع الاذي عن بنى الانسان . اذن فلا يقال عنه انه مرشد ارضي بل هو هاد سماوى ولقد وجد المسيح الوحدانية منتشرة مؤيدة في نواحي بيت المقدس ولذلك لم يدع اليها وان كان مرسلا لها بل اكتفى بالدعوة الى الانجيل . وخلاصة القول ان الله هو الله وان محمدا وموسى نبياه وان عيسى (١) رسوله . تلك هى صيغة توحيد الاديان التى سيعرفها ابناء المستقبل ان كان ابناء اليوم لم يستعدوا لها الى الآن . ولقد كتب الامير عبد القادر الجزايرلي وهو الذي قاتل الفرنساويين فعرف مقدارهم وفضائلهم ما نصه (لو اصغى المسلمون والنصارى اليّ لأزلت كل خلاف بينهم فاصبحوا اخواناً باطناً

(١) يؤخذ من كلام القس لوازون ان المسيح ليس ابنا لله بل رسولا له ارسله كغيره من الرسل أليس هذا صحيحاً !!!

وظاهرا ولكنهم لا يصغون اليّ لانه من المقدور السابق في علم الله انهم لا يتحدون على فكرة واحدة ولن يزيل هذا الاختلاف الا المسيح عند نزوله »

وكذلك نحن ننتظر رجوع المسيح ولكننا لا ندري متى وعلى اي كيفية يأتينا وليس من الضروري ان يكون مجيئه بمشخصاته وذاته وقبيل اليوم الاخير بل يمكن ان يأتينا بروح منه . ومتى انبثت روح المسيح التى هى نور وسلام في القلوب بقوة وطهارة جديدتين اصبح الناس اخوانا كما ينبغي .

واذا كان الدين الاسلامى بهذا المقدار من الرفعة وعلو الشأن فلأي سبب ننسب اضمحلاله الظاهر والشديد بصفته هيئة اجتماعية

وحسبنا ان نلقي نظرة على هذه الامم التى كانت عظيمة الشوكة والاقتدار لتندهش مما اصابها الآن من الضعف والانحطاط فالمسيحيون الذين كانوا يرجفون امامهم آخذون الآن في اخضاعهم والضغط عليهم

ولقد اجاب عن اسباب ذلك السقوط كثير من الكتاب

الاوربيين فاكدوا بوجود البحث عن هذا السبب في الدين نفسه الذي لا يقتصر على الايمان بالله واحد بل يشمل تعدد الزوجات والاعتقاد بالقضاء والقدر الذي يساعد على الجهل كما يساعد على التعصب الديني

وانا اقول بخلوص نية ان تعدد الزوجات في عائلة يجعلها احط مما لو كانت تلك العائلة مؤلفة من زوج وزوجة واحدة واولاد من ام واحدة حيث اصول التمدن تفرض على الانسان ان يؤمن بآله واحد كما وجد عليه بنو سام « وهم اليهود الاصليون والرسل والمسيحيون الاولون » وان يقتصر على زوجة واحدة كما جري عليه بنو يافث « وهم اليونان والرومان »

فمن آمن بالله واحد ولم يتخذ غير حليلة واحدة كان ذلك له خيرا وابقى بل هذا هو مستقبل النوع الانساني ونعم المستقبل

ومع ذلك فالقرآن الشريف لم يأمر مطلقا بتعدد الزوجات ولكن رخص به ترخيصا . وسبب هذا الترخيص ان محمدا

« عليه الصلاة والسلام » رأى اقوامه على جانب عظيم من الفساد فيما يتعلق بالنساء فكانت المرأة مبتغاة مطلوبة بقدر ماكانت محتقرة وكان الأب يئد بناته اللاتى يولدن له فيفقدهن الحياة الطيبة مع ان الرجل ماكان يسعه ان يحصي النساء اللاتي كانت تدفعه شهوته البهيمية اليهن فتدارك ذلك الامر بما اتخذه من الوسائل بان جعل عدد الزوجات الشرعيات لا يزيد عن اربع واذا وطئ اي الناس واحدة مما ملكت يمينه لزمه ان يحملها الى خبائه وتحت سماء بيته

ولقد اباحت شريعة موسى تعدد الزوجات الى حد معلوم نظرا لقساوة قلوب الرجال كما قال ذلك المسيح فكذلك الامر في شريعة محمد عليه السلام فان قساوة القلب هي التي تحمل الانسان على التعلق بجملة نساء ولا يخفى ان محمدا عليه السلام بعد ان اقام زمنا طويلا على زوجة واحدة وهي خديجة مال الى تعدد الزوجات لامور تبدت له من غير ان يكون معاذ الله فاسد الاخلاق كما يزعم بذلك خصماؤه

وقد قال عز من قائل في محكم كتابه الكريم (ما جعل الله

لرجل من قلبين في جوفه) فهذه الاشارة على غاية من الصواب بالنسبة لاقتصار الرجل على امرأة واحدة فان الانسان لم يعط اكثر من قلب واحد حتى يستطيع توزيع المحبة . ومعلوم انه اذا اراد ان يعطى قلبه لامرأة اعطاها اياه بالمرة او لم يعطها اياه . وقد قال جل شأنه في موضع آخر (وان خفتم ان لا تعدلوا فواحدة) وان الانسان لن يعدل ابدا مع امرأة اشرك غيرها فى الحب معها

اما انتم ايها المسيحيون فينبغي عليكم ان تنصفوا العرب وتقدروهم قدرهم ولو اعتبرتموهم منحطين عنكم في نظام العائلة اذ من علل ذلك الانحطاط وجودهم تحت تأثير هذا الاقليم المحرق الذي قد يقع به البلوغ فى سن الطفولية وقد تكون الواحدة اما وهي في سن الاثنتي عشرة سنة وتظهر الشيخوخة قبل سن الثلاثين كما يعقب شتاء شديد فصل ربيع سابق اوانه وقصير الامد . وهذا فضلا عن الاحوال الطبيعية التي تكتسب بالوراثة القديمة

والعرب هم من نسل ابراهيم وتابعوا شرائع العهد القديم

وآباؤهم الاولون هم اولئك الاحبار واولئك الانبياء الذين نجد ذكراهم معهم الا ان المسيح لما منحنا تدبيرا في المعيشة احسن لم يبق في امكاننا ان نتأسي بهم في نظام العائلة

ولقد لقب داود الملك النبي بالرجل الرحيم القلب رغماً عن كثرة نسائه

ولكن لا يبرح عن اذهانكم معشر المسيحيين ان هناك ما هو اعظم اثما واشد ضررا ونكالا من تعدد الزوجات الذي ترمون به المسلمين . الا وهو انضمامكم لعدة نساء تحت ستار الخبث (١) والفاحشة وهو ما يترك المرأة الاسيفة

(١) ان انضمام المسيحيين لعدة نساء تحت ستار الخبث والفاحشة كما يقول القس لوازون ليس بشيء في جانب تزوج الوالدات بابناءها فقد قرأنا في جريدة كوكب امبركا الصادرة من نيويرك بتاريخ ٢٤ ابريل سنة ١٨٩٦ « ان شابا في مدينة باترسون من اعمال ولاية نيوجرزى يبلغ من العمر ٢٣ عاما تزوج على يد احد القسس بوالدته التى يبلغ عمرها ٣٩ عاما وهي جميلة المنظر لا تزال في نضارة الشباب وزهرة العمر » فاذا اضفنا مثل هذه الامور الخبيثة ايضاً الى تعدد الازواج (انظر وجه ٢٣ من هذا الكتاب) وقارناها بتعدد الزوجات في الاسلام فاى الامرين يكون بحكم العقل اشد بلاء على التمدن اذا سلمنا ان تعدد الزوجات مغاير له على خط مستقيم ؟ اللهم انصافا ! !

ووليدها المسكين فريسة لذلك لا حماية ولا ناموس يعتراف به . ان ذلك وايم الله لفساد عظيم فى الاخلاق والافكار والآداب والفنون فساد يذهب بكم في مذهب الشكوك والريب المقوضة لكافة معتقداتنا معشر المسيحيين

هذه هى الامراض القتالة التي تصيب اوربا وهي مع داء التسمم بالكؤول والزهري تجعل المسيحيين الفاسدين امة مسمومة سامة للعالم باسره

هذا وان تعدد الزوجات آخذ في التناقص عند المسلمين كل يوم خصوصاً لدى المتنورين منهم وان محوه بينهم بالمرة سيكون من اعظم اسباب التقدم والفلاح في العالم الاسلامى ولا ريب في ان الغاء الرقيق قضي على تعدد الزوجات المرة الاولى كما سيقضي عليه تعليم النساء نهائياً . فان المرأة متى تعلمت تختار زوجها كما هو يختارها وتكون قرينة لا تحتمل وجود شريكة معها في زوجها تحول بينها وبينه

واذا كانت المرأة حرة بقدر ماهى عليه من الامانة والعفاف يكون لها في الاجتماع الانساني وفي ادارة منزلها هذا التأثير

النافع الذى تستلزمه منزلتها . ولولا ذلك التأثير ما كان هذا التمدن العظيم

هذا واسمحوا لي ان اذكر لكم هذه العبارة الآتية — « لما ارسل القديس فنسان دوبول الراهبات المعروفات باخوات الاحسان مكشوفات الوجوه بلا نقاب في شوارع مدن فرنسا الكبيرة اعترض عليه الناس فدفع اعتراضهم بهذه العبارة الوجيزة « فضائلين تغنيهن عن النقاب » ومع كل ذلك فان الحجاب الى الحد المعروف الآن في الشرق لم يأمر به الدين في القرآن الشريف ولا في الانجيل بل هو عادة شرقية قديمة قل ان توافق ماوصلت اليه الآن حالة الاجتماع الانسانى من التقدم الباهر

فلنسع في تربية المرأة العربية والتركية (١) تربية عظيمة لما

(١) ان تربية المرأة صارت الآن في دار الخلافة العظمى احسن مما هى في جميع الاقطار الشرقية ولا مشاحة اذا قلنا انها احسن من تربية المرأة فى اوربا خصوصاً في عهد مولانا امير المؤمنين عبد الحميد خان الثاني ادامه الله وما على القارئ المحب للاستطلاع واستقراء

منحهما المولى سبحانه وتعالى من الاستعداد العظيم لذلك فان الرجال على ما قاله (مونتسكيو) تسن القوانين والنساء تربي الاخلاق فعلى تربية المرأة يقوم نجاح العالم الاسلامي انشاء الله

ولقد رأينا مما تقدم ان تعدد الزوجات لا يحتمه الدين الاسلامي على المسلم بل يحذر منه لتعذر العدل معه . فلتنظر في شأن الاسلام مع الاعتقاد بالقضاء والقدر الذي يحسبه غير المسلمين عليهم من موانع التقدم والحضارة ان اكثر الاوربيين يفهمون خطاء معنى القضاء والقدر عند المسلمين واني آت لكم بمثل في هذا الصدد وهو ان الباحث على تفسير كلمة « القضاء والقدر » في قاموس لاروس الذي هو اكثر انتشارا من سواه في فرنسا يرى امام تلك الكلمة ما نصه بالحرف الواحد

« انه شيء ينحصر في فرض اعتقاد ان كل ما يحدث منا وفي

الحقائق الا ان يقرأ كتاب « آداب النساء التركية وتعليمهن في الاستانة العلية » المطبوع بالانكليزية في امريكا . وقد ترجمناه الى العربية خدمة للعالم الاسلامي فنستلفت اليه انظار القراء ونحثهم على مطالعته

العالم انما هو فعل القضاء والقدر بلا اختيار لاحد فيه وينتج من ذلك ان القاتل لا يكون مجرما حيث انه عند ارتكابه فعلته كان مطيعا لقوة فوق قوته وهو مذهب لو تقرر تطبيقه كان ولا ريب مدمرا لكل هيئة اجتماعية . وان القضاء والقدر بهذا المعنى اساس الدين المحمدي »

وعلى ذلك يكون هذا الدين سبب عدم التقدم الادبي والاجتماعي في الامم الدائنة به

وهذا التفسير خطاء محض فان دين محمد لم يفرض اعتقاد القضاء والقدر على اهله بهذا المعنى — الذي تذهب اليه فرقة الجبرية على ان محمدا كان في اعتقاده بالقضاء والقدر اقل من اعتقاد « كلفان » الذي نشأت في عهده بلاد ايقوسيا وانكلترا وامريكا امم اكثر تمسكا بالحرية وبلوغا لاوج التقدم من غيرها في العالم باسره

وقد كان التعليم في المدارس الكاثوليكية بالقرون الوسطى مبنيا على ان جميع الحوادث والافعال مقدورة ومعنى ذلك ان ارادة الله هي الغالبة على ارادة الانسان في كل شيء

وهذه القواعد الاساسية من الدين قد جرى عليها كل من القديس « توماس داكن » والقديس « اوجستن » وقال قبلهما القديس « بولس » عن الله عز وجل (سفر الرومانيين ٩ — ٢١) اليس صانع الفاخورة قادرا على ان يعمل من الخزف اناء للازهار وآخر للاقذار !!

وعلى هذا فتكون الديانات العظيمة كلها قائلة بالقضاء والقدر بمعنى انها تعلن في جنب الاختيار البشري الذي لولاه ما كان علم مكارم الاخلاق القدرة الالهية التي لو عدمت لعدم معها الدين

ولماذا لا تعتبر القدرة الالهية المؤثر الاول على اختيار الانسان لتكون له كفيلا في العمل وضمانة قوية بدلا من ان تعتبر مضادة له كما هو مفاد مذهب غير المعتقدين بالقضاء والقدر على ان الذى الوم عليه المسلمين من باب اولى هو عدم اتكالهم على الله الاتكال الصادق في كل امورهم واحوالهم حتى وقعوا بذلك تحت ربقة استبداد امرائهم وحكامهم .
وان الحوادث والتجارب قائمة بيننا تذكرنا بان الانسان ينجو

من ظلم اخيه ظاهرا بقدر استسلامه باطنا لحكم الكبير المتعال وصدق اتكاله عليه

ولقد كانت نظامات الدين الاسلامى كما قررها نبيهم وجرى عليه الخلفاء الراشدون من بعده نظامات جمهورية او بعبارة أخرى اخوية دينية اجتماعية خالية من كل كبرياء وزخرف فكان الحكم بالدستور الذى اوحي به المولى الى نبيه محمد «عليه الصلاة والسلام» حيث لم يكن الخليفة الا عبد الله (١) وخادم المسلمين اجمعين

وان عظمة الاسلام وفخامته تنحصران فى هذه النظرية المؤسسة على قواعد الحرية التي اختطها النبي محمد (عليه السلام)

(١) وهذا شأن مولانا امير المؤمنين وخليفة رسول رب العالمين السلطان عبد الحميد خان الثانى فانه حفظه الله وابقاه لا يأل جهدا في خدمة العالم الاسلامى واصلاح شأنه وجمع شتاته رغما عن الصعوبات والعقبات التى تعترضه في هذا السبيل نسأل الله ان يبقيه حصنا حصينا للاسلام والمسلمين ويحفظ ذاته الطاهرة من دسائس الاعداء والمفسدين ليرقي العالم الاسلامى على يديه أوج التقدم والفلاح اللهم آمين

وعمل بها ليكون قدوة لمن بعده ولم يوقف سيرها فيما بعد الا استبدال السياسة الدينية بالسياسة الدنيوية واستيلاء الامراء ذوي السلطة المطلقة الذين كانوا يفسدون اخلاق رعاياهم بمنظر الزخرف الزائد وبظلمهم ظلما تسفك فيه دماء الامم . واضف على هذه الاضطهادات الداخلية الاغارات التي كانت تشن على تلك الامم الاسلامية من الخارج ولقد تمكن العرب مع ماكانوا عليه من التوحش والهمجية ان يؤسسوا بواسطة الدين الاسلامي في الشرق تمدنا عظيما ساعدتهم عليه قابلية سلالتهم له القابلية الزائدة

وبينما كان الغرب المسيحي ينفض عنه غبار وطأة المتوحشين الذين اثقلوه باعباء مظالمهم ودوخوه باغاراتهم عليه زمانا طويلا باسترداد حريته السياسية وتأسيسها كان الشرق الاسلامي يفقد وقتئذ حريته الداخلية باستبداد رؤسائه وحريته الخارجية باغارات جيرانه

قال « سيزار بالبو » احد الايطاليين المحبين لوطنهم حبا عظيما « الاستقلال لازم للامم لزوم الحياء للنساء وماذا تفيدها

الفضائل الاخرى اذا فقدت هذه الفضيلة »

ولقد زعم جماعة ان الجهل احد نتائج الدين الاسلامى وكثيرا ما يحسبون عليه ذلك

وقد يذكرون عن عمر بن الخطاب انه قال بمناسبة حريق مكتب الاسكندرية الذي كان زعما باطلا هذه المقوله « ان كانت هذه الكتب التي فيها مخالفة لما جاء في كتاب الله فلا خير لكم فيها وان كانت موافقة فهي بلا فائدة »

على ان تهمة الجهالة والتعطيل موجهة الى سائر الكتب الدينية وعلى الخصوص النصرانية منها . اذن فكل دين مرمى بكونه من عوائق حرية العقل البشري وترقيه

اما انا فارى ان الاجدر بالمؤاخذة واللوم هي شروح المفسرين حيث لا شئ على نصوص الكتب نفسها لان اولئك الشراح كما قال القديس (بولس) — انما يفسرونها على مقتضى مبانيها المميتة لا كما تفيده معانيها المحيية فيصيرون الالهامات الالهية مناقضة للعلم الحقيقي الذي هو ايضاً من عند الله بل ومناقضة للذمة وهذا أدهى وأمر

فالمفسرون اذن بينهم ألد اعداء القرآن والتوراة والانجيل على انه ليس بين الاديان اقرب للفهم من الدين الاسلامي للذين يفقهونه كما انه ليس بينها اثبت ولا ارفق منه . فهو بقاعدتيه « وحدانية الله والجزاء الآجل » يمنح القلوب حقوقها من السكينة والارتياح ويذهب بالارادة المذهب الذي يلائمها وتحتاج اليه بدون ان تسوم العقل قيود هو بالطبع يأباها

وليس في الاكتشافات العلمية الحديثة . ولا في المسائل التي انتهى حلها والتي تحت الحل ما يغاير مثل هذه الحقائق الاسلامية الوضاءة والسهلة المأخذ . ولهذا فان التوفيق الذي نبذل كل جهدنا معاشر المسيحيين لايجاده بين العقل والاعتقاد في ديننا المسيحي هو سابق موجود في الديانة الاسلامية وانني بكلامي هذا عن الدين المسيحي انما اشير الى تلك الزيادات الموافقة والغير موافقة التي ادخلت على نصرانية الانجيل التي هى في الحقيقة من جهة البساطة كاسلام القرآن

ثم على م الجدال وها هى الحوادث والاحوال قد برهنت على ما للقرآن امام اعين الذين يفقهونه من صفات القابلية للعلم

والترقي والحضارة حيث قامت في العالم الاسلامى حضارات فاخرة باهرة مثل حضارة بغداد وتمدن قرطبة الذي فات بكثير ما كان يعاصره من تمدن الغرب ان صح ان لا نسمي ما كانت عليه حالة الغرب وقتئذ بالهمجية

وحينذاك لم يهدم المسلمون آثار اليونان العلمية بحريق مكتبة الاسكندرية الموهوم بل هم نقلوا الى لغتهم آثار ارسطو التي عادت باحسن الفوائد على مدارسنا الغربية في القرون الوسطى التى لم تصلنا الا بواسطة المسلمين وعن ايديهم فضلا عن ان علماء العرب كانوا اساتذتنا في سائر انواع المعارف من الجبر « والاسم نفسه يرشد لذلك » الى الطب حتى ان احد اعاظم باباواتنا الفرنساوى (سلفستر) رحل الى الاندلس فحصل فيها من العلوم والمعارف ما ادهش وبهر سائر معاصريه

اما الحال فقد انعكست اليوم وانطفاء مصباح العلم في العالم الاسلامي او كاد حيث يشاهد في العالم المسيحي وقاد الاشعة والانجيل وان وصل الينا نوره بعد الاستنارة بالقرآن الا انه قد جاء بالثمرة المقصودة منه . ومن الضلال ان ننكر ما احدثه

من عظيم التأثير في حركة الترقي الحاضرة اليوم في اوروبا واميركا وزد عليه ايضا الآثار اليونانية والرومانية التي هي لنا خاصة معشر الاوربيين والتي اعادت لها بقية القرن الخامس عشر مجدها القديم ثم التقدم المدهش في العلوم الطبيعية بحيث يمكنا ان نقول انها اوجدت لنا ارضا جديدة تحت اقدامنا وسماء جديدة فوق رؤسنا

وان التمدن البغدادى او الغرناطى لا يمكن ان يعود بهيئته القديمة بل الواجب ان يظهر تمدن اسلامى جديد يحفظ لنفسه قوام الصبغة العربية من جهة ويكون مناسبا لحالة الترقي البشري الحاصل الآن من جهة أخرى لكن على شرط ان يكون نقلا محضا عن التمدن الغربي حتى لا يكون الشرقيون قرود اوربا

واذكر ان صديقي الجليل (ساواس) باشا قال في بحث له عن اصول الشريعة الاسلامية هذه الكلمة التي تنحصر فيها عناية المتشرعين المجتهدين وهى :

« ينبغي للقانون ان يمازج الاسلام » وانا ازيد عليه

« وينبغي للعلم والترقيات الحاضرة ان تمازج الاسلام » ولقد فتح النبي محمد « عليه الصلاة والسلام » هذا الباب اذ قال « اطلبوا العلم ولو بالصين » وقال احد الخلفاء الراشدين — تحدث للناس اقضية بقدر ما احدثوا من الفجور . اذ هذا يفيد تجدد الاحكام للمقتضيات وذاك يحث على تحصيل العلم ولو من اقصى المعمورة

على انه لم يبق من حاجة لكم ايها الاخوان المسلمون ان تسافروا هذا السفر الطويل بل لا حاجة ايضاً بالسفر الى اوربا لانها انما تأتيكم بنفسها تسعي فما عليكم الا ان تستقبلوا اساتذتها وعلماءها وحافظوا على قواكم العقلية واستقلالكم السياسي نابذين كل عوائدكم وتقاليدكم الواهنة لانها أدت وظيفتها في هذه الدنيا حتى صارت بالية وخذوا علوم الغرب حتى تمتزج باسلامكم ويمتزج بها الى ان يكون التمدن قسمين متناسبين الاسلام والنصرانية . ولقد ادهشني في مصر آثاران لمعنى ليس في قبور الفراعنة ولا هياكلهم وهما الجامع الازهر وتمثال ابراهيم . هذان يشيران الى المستقبل وتلك تحدث

عن المـاضي

فالجامع الازهر بالعشرة آلاف طالب الوافدين عليه من اقاصي البلاد بين مراكش والصين خليق بان يموج بالعالم الاسلامي فاحفظوه احفظوه فان به تأييد كلمة الله التي أخذت الآن تتقلص عن آفاق اوربا ويخشى اذا هي زالت بالمرة ان نقع في همجية أشد من همجية أحقر طبقات المتبربرين . وضموا الى الدين العلم . العلم الحاضر بكافة فروعه ونتائجه اذ لا خوف على الدين من العلم . ولقد احسن الانكليزي (باقون) — ولعله بيكون — حيث قال « قليل العلم يبعد عن الله وكثيره يعيد اليه » وقال آخر وهو أقدم عهدا من الاول « ينبغي لاهل الايمـان ان يكونوا فقهاء »

واما تمثال ابراهيم باشا فليس باقل تنشيطا للافكار ولقد بعث الله في شخص محمـد علي الى هـذا القطر بل الى العالم الاسلامي باسره قريحة نادرة لتجدد فيهما الحياة فكانت سيف ابراهيم منفذا وخادما لمقترحات والده ومقاصده وقد ورد في القرآن الشريف « وانزلنا الحديد فيه باس شديد ومنافع

للناس » ألا تنظرون الى ذلك الباسل على جواده الاشم العربي المختال يشير الى المستقبل اشارة لا ريب فيها

وان العمل الذي وضع أساسه محمد علي وابراهيم لن يذهب سدى وانمـا سيؤول اليه المستقبل فان الاسلام سيحيا وستنبعث حياته من مصر التي هي طليعة هذا الدين في العالم

ولقد قال الامير عبد القادر الجزائرلي منذ نيف وثلاثين سنة « شيئآن يقيمان الدين والدنيا السيف والقلم وهذا افضل » نعم لتكونن آلة سلام الاسلام اسمى وافضل من سيوف ابطاله وهي في يد خديو محب للعلوم نصير للتقدم طائر الصيت محبوب الاسم في العالم الاوربي من الآن « هي ألسنة العقلاء واقلام العلمـاء »

وان تربية الشعب وتعليم المرأة وعبادة الله بقوة ومعرفة هي القواعد الثلاثة التي ستحيي المستقبل وتنيره » اه

واذ قد اتينا بالايجاز على ملخص ما فاه به بعض الرجال من هل بلادنا ونقشته الاقلام على صفحات القرطاس عن الدين االاسلامي فلنوجه الآن عنان البحث والتنقيب بكل هدو

وسكينة نحو عقيدة الاسلام ونضعها على محك الاختبار ومن ثم ننظر فيما اذا كانت مطابقة للعقل وموافقة لكل ذي ذوق سليم

« الاسلام كجواد أقب كريم موصوف بالشهامة والاقدام والثبات سريع المدى في احقاق الحق وازهاق الباطل في المناظرة والجدال قوي الحجة ساطع البرهان كانه سمهري عضب يمان في يد غضنفر ثبت الجنان يجلي بمضاء حده ظلام الشك في يوم الطعان . ينبه الانسان على الدوام ان يعيش متذكرا يوم الحمام وان الآجال ما دامت قصيرة فعلى المرء في هذه الحياة الدنيا ان يعمل لنفسه صالحا ما استطاع وان يكون على اهبة ليوم (١) الوداع »

والاعتقاد الجوهري في الدين الاسلامي لم يزل ولن يزال

(١) هذا الوصف الشريف تلقيته عن الديانة الاسلامية من بين شفتي جلالة الغازي عبد الحميد الثاني سلطان البلاد التركية وخليفة الامم الاسلامية في مقابلة خصوصية انعم عليّ بها في سراي يلدز الملوكية وذلك في شهر رمضان سنة ١٣٠٨ الموافق (شهر مايه سنة ١٨٩١)

من منذ ما خلق العالم الى آخر يوم من انقضائه اعتقاداً واحداً لا يتغير ولا يتبدل . اما اساس هذا الدين فهو الاقرار بالحق والاعتراف به الا وهو ان لا اله الا آله واحد فقط تفرد بالوحدانية وتنزه عن الباطل . « لا اله الا الله » . « هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم . هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس اللام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون هو الخالق البارئ المصور له الاسماء الحسنى (١) يسبح له ما في السموات والارض وهو العزيز الحكيم » . (٢) فهذا الاعتقاد قد تحتم القول به كثيرا في صفحات القرآن وتكرر ايضاحه فيه باكثر مما تقدم فلا تخلو آية منه الا ويمكن الاستشهاد بها على اثباته . ولكن في ذكر القليل كفاية لمن القى السمع وهو شهيد « ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام : ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثاً والشمس والقمر والنجوم

(١) في آخر الكتاب حاشية تجد فيها بيانا وافيا عن اسماء الله الحسنى وهي الـ ٩٩ اسما او صفات الله في عمودين متوازيين

(٢) ٥٩ سورة « الحشر »

مسخرات بامره . ألاله الخلق والامر تبارك الله رب العالمين
ادعو ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين . ولا تفسدوا في
الارض بعد اصلاحها وادعوه خوفا وطمعاً ان رحمة الله قريب
من المحسنين . وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته حتى
اذا اقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فانزلنا به الماء فاخرجنا
به من كل الثمرات » . — القرآن سورة ٧ (« الاعراف »)

الا وان ذكر صفات الله فوق كل صفة كما يظهر ذلك من
الاقتباسات الآتية من السورة الثانية وغيرها من سور
القرآن الدالة على ان « الله — لا اله الا هو الحيّ القيوم .
لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الارض .
من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه ؟ يعلم ما بين ايديهم وما
خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء . وسع كرسيه
السموات والارض ولا يؤده حفظهما . وهو العلي — العظيم »
٢ سورة (البقرة)

« تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير . الذي
خلق الموت والحياة ليبلوكم ايكم احسن عملا — وهو العزيز —

الغفور — الذي خلق سبع سموات طباقا ما ترى في خلق
الرحمن من تفاوت فارجع البصر — هل ترى من فطور ؟ ثم
ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئاً وهو حسير »
٦٧ سورة (الملك)

« قل هو الله احد . الله الصمد . لم يلد . ولم يولد . ولم
يكن له كفوا أحد » ١١٢ سورة (الاخلاص) (١)

وقد أزاح الخليفة عليّ غطاء الاوهام وتضارب الظنون
والافهام عن المولى عز وجل بافصح عبارة وابلغ بيان حيث
قال : —

« هو الله الذي لا يدركه بعد الهمم . ولا يناله غوص
الفطن . الذي ليس لصفته حد محدود . ولا نعت موجود .
ولا وقت معدود . ولا اجل ممدود . اول الدين معرفته .
وكمال معرفته التصديق به . وكمال التصديق به توحيده . وكمال

(١) سورة ١١٢ هذه السورة يقرأها جميع المسلمين باكرام
خصوصي وقراءتها تعادل قراءة ثلث القرآن باجمعه كما جاء في رواية
حقيقية عن النبي وقد انزلت جوابا لقريش حين سألوه عن صفات
المولى عندما دعاهم الى عبادته .

توحيده الاخلاص له . وكمال الاخلاص له نفي الصفات عنه .... فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه . ومن قرنه فقد ثناه . ومن ثناه فقد جزاه . ومن جزاه فقد جهله . ومن جهله فقد اشار اليه . ومن اشار اليه فقد حده . ومن حده فقد عده . ومن قال فيم فقد ضمنه . ومن قال علي م فقد اخلى منه . كائن لا عن حدث . موجود لا عن عدم . مع كل شيء لا بمقارنة وغير كل شيء لا بمزايله . فاعل لا بمعنى الحركات والآله . بصير اذ لا منظور اليه من خلقه . متوحد اذ لا سكن يستأنس به ولا يستوحش لفقده » (١)

فهذا الاعتقاد في آله حكيم صمد عالم بكل شيء وقادر على كل شيء لما يستدل به حسب الاصول الفلسفية والبراهين المنطقية الى تأييد الحقيقة وفصل الخطاب في ان دين الله ووجود الاشياء وفنائها امر باق على ماهو عليه في كل الاجيال والعصور . وهذا الدين يطلق عليه اسم اسلام — كلمة لا تدل

(١) انظر نهج البلاغة وانظر ايضاً فصل ١٩ من كتاب حياة وتعاليم محمد في الانكليزية تأليف السيد أمير علي

فقط على التسليم وكمال الطاعة لعبادة المولى والقيام بواجب اوامره بل يشمل معناها ايضاً السعي وراء الحق والتمسك به

وانك لتجد في السورة الثانية من القرآن ماهية الاصول الفلسفية المتضمنة في الدين الاسلامي مختصرة بهذه الكيفية :-

« ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين . الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون . والذين يؤمنون بما انزل اليك (الى محمد) وما انزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون — اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون » (١)

« والقواعد الاولية التي تأسس عليها نظام الدين الاسلامي هي (١) الاعتقاد بوحدانية الخالق وعدم هيوليته والاقرار بقدرته ورحمته والتمسك بفائق محبته (٢) المحبة والاخوية بين الجنس البشري (٣) قمع الشهوات النفسانية (٤) اسداء واجب الشكر من قلب خالص لمولي الاحسان والنعم و (٥) محاسبة الانسان عن اعماله البشرية في الدار الآخرة . وان المزايا العظيمة والسجايا الكريمة التي جاءت في القرآن عن قدرة

(١) سورة ٢ (البقرة) من آية ١ الى ٦

الله وواجب محبته تفوق كل ماجاء من مثلها في اي لغة أخرى الا وان وحدانية الله ونورانيته وعظيم جلاله وواسع رحمته لما يصاغ منها عقود بلاغة تزري بعقود الجمان ولا يذكر بجانبها في التأثير على النفس فصاحة قس او بلاغة سحبان . مولى مجرى وجوده لا ينقطع ونوره لا ينطفئ وروحانيته لا تنعدم لا نهاية لاحكامه ولا حد لسلطانه » (١)

والمسلم يؤمن بان هذا الدين المبين انزله الله على آدم عند خلقه اياه . ولكن بما ان السنين تنقضي سنة فسنة والاجيال تتوالى جيلا فجيل كذلك انقرض دين آباءهم الاولين والتصقت به الخرافات الوثنية وحاد الكثيرون من الناس عن جادة الطريق فعبدوا الاصنام وضلوا سواء السبيل . فمن مراحم المولى العميمة اراد الله سبحانه ان لا يؤاخذ الامم باعمالها دون ان يفسح لها مجال الفرص ويفتح لها باب توبته فاوحى الى نوح وارسله لينذر الناس وينصحهم بالاقلاع عن عبادة الاوثان والرجوع الى عبادة الله الواحد الخلاق وان

(١) انظر كتاب « حياة وتعاليم محمد » للسيد امير على

يتخذوا الاسلام دينا . ولما لم يجد دعاء نوح نفعا ارسل الله عليهم الطوفان واهلك القوم الخاسرين . وارسالية نوح هذه واخفاق مسعاها مشار اليها طويلا في القرآن كما يظهر ذلك من زبد الاقوال الآتية المقتضبة من السورة الحادية والسبعين (سورة نوح) كما ترى : —

« انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر قومك من قبل ان يأتيهم عذاب اليم . قال يا قوم اني لكم نذير مبين . ان اعبدوا الله واتقوه واطيعون . يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى اجل مسمى ان اجل الله اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون . قال :رب اني دعوت قومى ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائي الا فرارا . واني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا اصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم واصروا واستكبروا استكبارا . ثم اني دعوتهم جهارا . ثم اني اعلنت لهم واسررت لهم اسرارا . فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا . يرسل السماء عليكم مدرارا . ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا . مالكم لا ترجون لله وقارا . وقد خلقكم اطوارا . الم تروا كيف

خلق الله سبع سماوات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل
الشمس سراجا ؛ والله انبتكم من الارض نباتا . ثم يعيدكم فيها
ويخرجكم اخراجا . والله جعل لكم الارض بساطاً .
لتسلكوا منهاسبلا فجاجا . قال نوح - رب انهم عصوني واتبعو
من لم يزده ماله وولده الا خسارا » (١)

ولقد توالت بعد ذلك الايام واعقبتها السنون وعمرت الدنيا
ثانيا ورجع الناس ايضاً الى مثل ما كانوا عليه فحرفوا الدين
الحق عن مواضعه ووقعوا في وهاد الوثنية فارسل المولى لهم
ثانيا نبيا كريما ليوقظ القوم من غفلتهم ويوضح لهم الدين
المبين . ويهديهم سواء السبيل وقد كان هذا النبي ابراهيم
الخليل . وكان ابوه من زعماء الوثنية بلا ريب وتقول عنه
الكتب المسيحية المقدسة انه اتخذ لنفسه آلهة غريبة الشكل
(يشوع اصحاح ٢٤ - ٥ آية ٢ - ١٤) . وبما ان ابوي ابراهيم
كانا على دين الوثنية فبالضرورة يحتمل انه نشأ وثنيا في ايام

(١) قصة نوح هذه مشار اليها في سورة ٧ و١٠ و١١ و٢٦
و٢٩ و٥٤ و٥٦ و٧١ من القرآن .

حداثته . وهذا القول ليس منحصرا فقط في كتاب يشوع
بل اقربه اليهود (١) ايضاً . ولكن كم كان لابراهيم من
العمر حين نبذ الاعتقاد بالوثنية واهتدى الى عبادة من تفرد
بالوحدانية . بعض الكتاب من اليهود يقولون انه كان له من
العمر ثلاث سنوات (٢) والبعض يقول انه كان اذ ذاك في
سن الرجولية . وعلى الخصوص فان الميامين والحاخام ابراهيم
زكات يظنون انه كان في الاربعين من عمره . وهو العمر الذي
ذكره الكثيرون من مفسري القرآن الاعلام . والرأي المتفق
عليه بالاغلبية عند علماء التصوف من المسلمين هو انه كان بين
الخامسة عشر من عمره او السادسة عشر (٣) وذكر اسلام
ابراهيم وايمانه مدون في القرآن كما ترى { سورة ٦ الانعام }
« وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض
وليكون من الموقنين .

(١) انظر Joseph, Ant 1. 1. c. 7. Maimon. MoreNeo. Part 111. c. 29
(٢) انظر ايضاً Tanchuma, Talmud, Nedarim, 321. et Apud Maimon,
(٣) انظر وجه ٦١ و٦٠ من كتاب. Hyde de Religion. Veb. Persar

« فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما افل قال لا احب الآفلين . فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما افل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين .

« فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا اكبر فلما افلت قال ياقوم اني بريء مما تشركون . اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين . وحاجه قومه قال :

« اتحاجوني في الله ؛ وقد هدان ولا اخاف ما تشركون به الا ان يشاء ربي شيئاً وسع ربي كل شيء علما افلا تتذكرون ؛ وكيف اخاف ما اشركتم ولا تخافون انكم اشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا ؛ فاي الفريقين احق بالامن ان كنتم تعلمون ؛ الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الا من وهم مهتدون »

وانه لامر ذو شأن وبرهان ظاهر للعيان كما هو مثبوت في نصوص القرآن بان الدين الذي نشأ عليه ابراهيم كان بلا ريب دين الصابئية . دين يحتوي في الغالب على عبادة الاجرام

السماوية ولما كان - ابراهيم - بالضرورة من اهل النهى مال الى امتحان ماهيتها والوقوف على معرفة حقيقتها والنجم الذي كان راقبه هو على ما يظن نجم من النجوم السيارة كالزهرة او عطارد او المشتري . وكيفية وصول ابراهيم الى طريق الحق ومعرفة خالق الخلق التي جاءت في القرآن مطابقة ايضا لما جاء في رواية التلمود (١) وفي مؤلفات جوزيفوس (٢)

وثاني الانبياء الكرام الذين اودع الله فيهم وصيته وارسلهم لهداية الانام كان موسى عليه السلام ونحن لا نتكلف مؤنة التطويل في ذكر نبوته وبيان ارساليته فان ماجاء عنه في القرآن مطابق لعبارات الكتب المسيحية المقدسة ومن التافه ان نكرر ذكر قصة شهرتها تغني عن التكرار . على ان الاقوال الحكمية والنصائح النبوية التي القاها موسى على الناس لمن النصائح التي يجب ان نتعظ بها ونوجهها نحو انفسنا وحسبنا في ذلك انه

(١) انظر وجه ٦٤٠ من الجزء الاول من كتاب Bertolocc, Bibb, Rabb

(٢) انظر الفصل السابع من الجزء الاول من كتاب Josephus. Ant, of the Jews

قال - « استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين » (١)

والنبي الخامس التابع للانبياء الكرام هو المسيح عليه السلام الذي يعبده المسيحيون عبادة عمياء وينزلونه منزلة المولى « عز وجل » بالسواء . وهذا هو في الحقيقة عين الاختلاف البين بين العقيدة المسيحية والعقيدة الاسلامية كيف لا والمسيحي المتمسك بديانته والمتعلق باهداب شيعته ذات الشكوك والاوهام والاختباط والابهام يتصور تصورا ملتبس العبارة ليس فيه ادنى صراحة وهو اعتقاده في « التثليث » على انه لو سئل عن معنى هذا التثليث لقال ان معناه « الاب والابن والروح القدس » وربما اذا اراد زيادة في التوضيح قال انه « ثلاثة اشخاص ولكن اله واحد » وتراه اذا سئل عن شرح هذا التناقض الصريح اجاب اجابة المتلجلج بانه سر من الاسرار الخفية . اما ان كان من اهل الكثلكة او كان اسقفا انكليزيا فربما يشير الى ذاك المذهب الذي يعدونه من اوليات المذاهب

(١) انظر سورة ٧ (الاعراف)

الدينية وهو المذهب المعروف بمذهب اثانيشيس فان واضعه بعد ان احصى مبادئ الديانة المسيحية وعددها وخاض في الكلام عليها انتهى به الامر الى القول بهلاك كل من لم يقبل الايمان بهذا المذهب بل وبكل سطر وكلمة وحرف منه هلاكا ابديا . ولقد اجاد الشاعر بايرون Byron في وصفيته الهجائية التي وصف فيها هذا المذهب واعتقاد المسيحي فيه في الابيات الآتية :

لا ريب ان من تلا اللعن الذي
فارضه أثناسيوس المفتري
تبدو له الدنيا جحيما زادها
مشحونة لعناً وشتماً مزدري
سحقاً لقوم حقد جاؤا بها
عقيدة تدني الى شرّ وري
يستبشرون بالسباب نعمة
والشتم اقوى شاهد للعثر

قد اعجزت لعناته كل الورى
فهي المثال للبذاء المنكر
بغضاً لدعواه التي قد سنها
دينا يدان بين قوم غمر
وشى بها كتب الصلاة رغبة
في نشرها بين الورى في الامصر
تزدان كالسحب بقوس قزح
عند انجلاء بعضها بالمطر
ترى المصلي جامعاً صلاته
أثار لعن بعد عين المخبر (١)

وان كلمة « تثليث » ليست بكلمة مقدسة ولم يكن لها وجود في الكتب المسيحية المقدسة وانما ادخلت في النصرانية في القرن الثاني قصد الاعتقاد باتحاد ثلاثة اشخاص في اله واحد

(١) انظر القصيدة ٦ من الدور ٢٣ من ديوان بايرون تحت لفظة « دون جوان » Don Juan

وان اعظم الكتاب اللاهوتيين ليقفون موقف العجز والقصور في ايضاح هذه القضية ومباحثهم فيها محشوة غالباً اما بالاعذار او التصريح بانها سرّ من الاسرار المكنونة . ولقد اعرب الدكتور روبنسن عن افكاره في هذا الموضوع بالعبارة الآتية : « ان التثليث سر فوق اعظم توهم بالنسبة للافكار البشرية في الابداع والاختراع كما انه فوق ادراك أولي الالباب وذوي النهى لانه السر الغامض المبارك الى الابد »

فاللهم ان كان الدكتور روبنسن مصيباً فيما قاله وسرّ كهذا « فوق اعظم توهم بالنسبة للافكار البشرية في الابداع والاختراع » فعلى ذلك تكون ايضاً اعتقادات الاسكندناقيين وخرافات قدماء المصريين وتعاليم افلاطون، ولاهوت وثني الهند الحديث المشابهة تمام المشابهة لهذا السر يجب ان لا تكون من اختراعات البشر بل تكون موحى بها من جانب القدرة الالهية . وهي قضية نخال المسيحيين انهم ربما لا يسلمون بها . ولقد اشار كاتب آخر

(١) الى هذا الصدد نفسه بقوله « وكذلك التثليث الالهي عند المسيحيين فانه موضوع اعتقاد محض لا موضوع بحث واستقراء . وكل شروع في الاطلاع عليه والوقوف على حقيقته رغماً عما انزله الله في كلمته المقدسة يعد شروعا فاسداً ناتجا من تقوى مختبطة مبنية على عدم فطنة واختبار . لا — ايها الاخوان المسيحيون الاتقياء ذوي النية الخالصة الراغبون في البحث والتنقيب لا يجب عليكم ان تخوضوا عباب هذا السر وتجدوا في الوقوف على معرفته بل الواجب عليكم ان تقبلوه كما هو بدون فحص او بحث . وان كانت افكاركم الصائبة تثير وتأبى تصديق مثل هذا الكلام فاطمئنوا بالا وارتاحوا خاطراً بذكر العبارة الوحيدة القائلة « هذا هو الدين الحق الدين الذي ان لم يقبله كل انسان بصدق نية وحسن طوية فانه بلا شك يكون من الخاسرين (٢) الى الابد »

(١) انظر كتاب « كشف ديانات العالم » تأليف آدم في الانكليزية (٢) عليك بعقيدة آثانيشيس .

وربما يلوح للمسيحيين بارق الاستغراب من امر لا ريب فيه الا وهو عدم وجود اي نص في جميع الكتب المسيحية المقدسة يثبت بصراحة وجود حقيقة للتثليث سوى نص واحد وهو « فان الذين يشهدون في السماء هم ثلثة الاب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد » (انظر اصحاح ٥ آية ٧ من رسالة يوحنا الاولى) . هذا ومن المعلوم الذي لا يختلف فيه اثنان ان لجنة المراجعة والتصحيح اقرت بازالة هذا النص من الانجيل الذي صححته ونقحته وقالت انه ليس من الشرف ان يترك مكتوباً فيه . وقد استعان اعضاء هذه اللجنة في اعمالهم بتآليف نيوتن Newton وجيبون Gibbon وبورسن Porson وغيرهم من المؤلفين الذين اثبتوا باجمعهم بان ذاك النص المشار اليه انما هو زيادة حشو . وقد اكد ذلك كالميه (١) Calmet نفسه بقوله : —

(١) هو اوغستين كالميه Augustine Calmet كان عالماً فرنساويا برع في اللاهوت والتاريخ . ولد في اللورين عام ١٦٧٢ ومات في باريس سنة ١٧٥٧ وكان في ايام صباه راهباً من رهبنة بنادكتس . اخذ

« هذه الآية لم تكن موجودة في اى نسخة من نسخ التوراة القديمة »

ويمكن لقرائنا ان يوجهوا التفاتهم في هذا الموضوع ايضاً الى الجواب الذى فاه به المسيح نفسه لاحد الرؤساء المعلومين وكان قد وجه اليه هـذا السؤال — « ايها المعلم الصالح ماذا اعمل لارث الحياة الابدية ؟ » فقال له يسوع (المسيح) « لماذا تدعوني صالحاً . ليس احد صالحاً الا واحد وهو الله » انظر (اصحاح ١٨ آية ١٨ — ١٩ من انجيل لوقا) فالذين

الفلسفة واللاهوت عن عدة اديرة معدة لتعليم هذه العلوم وقد صنف كتبا كثيرة في مواضيع علمية مقدسة في شكل التفاسير والخطب وقد طبعت تآليفه في باريس باللغة الفرنساوية في عامي ١٦ — ١٧٠٧ في ٣٢ مجلدا بالقطع المربع . وقد شملت كل كتب العهد القديم والجديد . وكانت له تصانيف ومؤلفات كثيرة جدا ليس فقط في العلوم الدينية بل ايضاً في التاريخ وشرح المواقع (توبوغرافية) وعلم الانساب (جيولونوجى) والسير والآثار القديمة . والتآليف التي اكسبته شهرة طائلة ونال بها اسما سامياً هى المعروفة باسم « Dictionnaire Historique et Critique de la Bible » وهو قاموس تاريخي للبحث في التوراة طبع في باريس سنة ١٧٣٠ وهذا

يحاجون في ان المسيح هو الله « سبحانه وتعالى » وانه هو الذي ادعى الالوهيـة بنفسه يجب عليهم ان يراجعوا هـذه الآية ويتصفحونها جيدا

وهكذا للمسيحيين امور كثيرة كهذه في تمسكهم بالتثليث وتاليهم للمسيح ذاك المعلم الصالح . ولننظر الآن الى العقيدة الاسلامية من هذا الوجه ونحن عند الدخول في هذا الباب نشعر باننا من الممثلين للحقيقة في اثباتنا للعقول البشرية اثباتا قطعيا بان القول باله في انسان او انسان في اله قول في حد

الكتاب قد ترجم الى الانكليزية والجرمانية والتليانية والهولاندية وكان ظهور الترجمة الانكليزية في سنة ١٧٣٢ . وله كتاب آخر يضارع هـذا في عظم الاهميـة يدعى بالفرنساوية « Tresor d'Antiquités Sacrées et Profanes . » اي كنز الآثار القـديمة مقـدسة وغير مقدسة طبع في باريس عامى ٢٢ — ١٧٢٠ . هذا وان كان كالميه عالماً دينياً الا انه كان مشهودا له بطول الباع وسعة الاطلاع في علوم أخرى اكثر من تبحره في المباحث الدينية . ويقال انه لم تكن له يد طولى في اصول الديانة اليهودية والآداب الشرقية اما الكتابان المشار اليهما فانهما لم يزالا دائمـا وابدا موضوع الاعتبار والالتفات والوقار ليس فقط عند اهل ملته بل ايضاً عند علمـاء البروتستانت . اه

ذاته مبني على الجهل وسخافة العقل لانه ليس بقول معقول او فكر مقبول بل هو خبط وخلط واعجام وابهام عن قولين وان شئت قل ظنين كل منهما لا علاقة لاحدهما بالآخر. اما المسلمون فيعتقدون ان الله «سبحانه وتعالى» ليس فيه مناقضة او اعتراض وانه جل شأنه جعل لنا بقدرته الفائقة وحكمته الصائبة قوي عقلية نميز بها الاشياء وندرك بها قضايا الامور. هذا ومن المعلوم ان الحقيقة بنت البحث والاختبار . ولنفرض ان بحثنا ربما يكون محصورا في نقطة واحدة فهذا لا بأس به لانه انما يكون محصورا فينا ومهما شط البحث فان قدرة الله الظاهرة حقيقة لا تنكر . هذا ومن المحتمل اننا لا نستطيع ان نخوض عباب البحث والاستقراء في الخلود والبقاء الذين تفرد بهما المولى «جل شأنه» فما كان قابلا للجزم به عقليا يمكنا ان نعتمد على قبوله والايمان به كما نعتمد على الايمان بالمولى نفسه وانه لامر واضح الشان جلي البرهان ناجم عن فكر صحيح وعقل صريح لا يخرج البتة عن دائرة الافهام ولا يتحول عن الاذهان بان الشخص الواحد لا يمكن له ان يصير الاهاً

وانسانا معاً في آن واحد

ما هو الانسان؛ هو بلا شك مخلوق وهبت له هبات بديعة سنية وفوق ذلك اعطيت له قوة معلومة في كل امر قابل للفهم والادراك وقد اودعت فيه قوة طبيعية ومدارك عقلية وفطنة غريزية واميال وانفعالات لما تشرأب اليه نفسه من المقاصد والغايات ولم تودع فيه كل هذه السجايا صفقة واحدة بل هو في كل واحدة منها ينمو فيها نموا بسيطاً جدا وبتوالي السنين يشب ويترقى لا في مدارك الجسم فقط بل ايضا في مدارك العقل والحاسيات . والذي يفهم عن حقيقة الانسان هو انه مخلوق ذو نمو مرتبط به فان كان المسيح انسانا كان مخلوقا ذا نمو مرتبط به وان لم يكن كذلك سواء كان الها او شيئا آخر خلاف ذلك كما يدعى المسيحيون فانه اذا لا يكون انسانا على الاطلاق

ولننظر الآن الى الجهة الاخرى من هذا الشكل . ما هو الله؛ ما هو هذا الجوهر الآخر الذي يقول لنا عنه المسيحيون اللاهوتيون انه امتزج بالجنس البشري في المسيح؛

ما هو الا الله القادر المتعال الذي لا حد له ولا نهاية الذي يثبت ويدير بمشيئته الافلاك المتلألئة في السماء ويطلع على الكائنات . « الذي له ملك السموات والارض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء وقدره تقديرا » (١)

هل كان لهذا الاله بداية ؟

هل كان لله نشأة في اي وقت من الاوقات وهل كان له نمو تدريجي في القدرة والسلطان وترق في الرتب والدرجات الى اوج الفهم والذكاء بما لم يكن موجودا فيه من الاصل ؟

كلا — وقل الف مرة كلا. فسحقاً لفكر سقيم يذهب الى جنون كهذا عن قدرة الله وعظمته « قل هو الله احد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا احد » (٢) اذا ما هذا الذي يقال له « سر مقدس » و « اله بشري » الذي تدعى عقائدكم النصرانية بانه « انسان كامل واله كامل » ؟

فاللهم ان كان انسانا كاملاً كان اذاً محدودا في كل قوة ! !

(١) انظر سورة ٢٥ «الفرقان» (٢) سورة ١١٢ «الاخلاص

وان كان الهاً كاملاً كان اذاً غير محدود في اي قوة ما مهما كانت ! !

اما من جهة كونه انسانا كان اذا منشأه من وهن الطفولية والترقي من جهلها

واما من جهة كونه الهاً كان اذا قادرا قويا متفردا بالخلود والبقاء ليس من صفاته نمو ولا ارتقاء قط

ايها المسيحيون انكم لعلى شطط الاختبال ومتن الاختباط لاتحاولون وتجادلون في تفسير « التثليث » بعبارات الابهام والالتباس وشقشقة كالببغاء فتقولون انه « سر يجب ان يقابل بالايمان »

انه لاسر فيه على الاطلاق سوى انه ذهول يكون كل انسان احمق اخرق اذا صدقه وآمن به

انه لهذيان محض وجنون واضح اي وضوح وليس فيه من شيء سوى التناقض الفاضح . ان العقل الصائب والفكر الثاقب يأبى تصديق ما كان مغشوشاً بغش واضح وخداع ظاهر

فهذه الهمهمة القائمة علي وهم لا ظل له من الحقيقة لا تحط

من صفات المسيح وتزدي بشمائله فقط بل تتناوب المس بكرامة المولى وتخص عظمته . وعليه فلنرجع الى القرآن حيث نجد فيه الشرح الوافي والقول الكافي عن حقيقة ماهية المسيح

« انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه . فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة . انتهوا خيرا لكم انما الله اله واحد سبحانه ان يكون له ولد ! له ما في السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا . لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا » (١)

« ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة (٢) كانا يأكلان الطعام » (٣)

ويغلب على الظن ان المسيحي القوي الاعتقاد يعارض في هذا القول اشد المعارضة ويحمل علينا حملة منكرة لانه كما يتخيل له اننا نجعل المسيح « مجرد انسان » ولكن يقينا ان هذه

(١) سورة ٤ « النساء » (٢) اي لم يدعيا مشاركة الله في ألوهيته ولم تقل امه انها ولدت الها (٣) سورة ٥ « المائدة »

لنزغة طيش وسوء فهم فان صفة « مجرد » لا يمكن ان تكون ثالمة لقدره لان الانسان بالطبع خلق ضعيفاً - فقيرا ذليلا وضيعاً حقيرا ولكنه من جهة اخرى من المخلوقات التي تناجت مع القوي ذو الجلال والاكرام وفضله برحمته وكرمه على غيره من مخلوقاته ونظر اليه بعين رعايته والتفاته . وهو الذي يخاطبه الله في ضميره ويشهد عليه باللطف والدعة . فهو مخلوق اوجد الله فيه قوة لعبادته وتقبل منه صلاته برعاية خصوصية وحيث ان المولى سبحانه هو الخالق للانسان والانسان مخلوق من صنعه فلا مشاحة اذا قلنا اذاً ان المسيح كان انسانا وكان نبيا لان هذا لا يحط من مقامه ويقل من اعتباره ونحن في مقدمة من يسلم ويعترف بانه أوتي شيئاً من الهبات السنية ذات المقام الكريم التي وهبها الباري المصور لبعض الناس فهل نحن معشر المسلمين اذاغير مبرهنين بصراحة تشف عن رفق ورقة في القول بل وثبات لايميل عن جادة الحق في اظهار الاقناع الاكيد واقامة البرهان السديد بان وهم المسيحيين هذا الفاسد المبني على تلك الغلطة التاريخية المبهمة اي « اله بشري » قد

صارت من العثرات التي صدت عن سبيل الهداية الى الله الحقيق واوقفت كثيرا من الناس عن الاعتقاد بأي صبغة دينية

والمسيحيون يطلقون على كل من لم يقبل التصديق بهذا المذهب العجيب في بابه عن تأليه المسيح لفظة «كفار» اما المسلم فانه يقابلهم بالضحك على تعصبهم وغرورهم ويجيبهم قائلا «لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم وقال المسيح يابنى اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم» (١)

وقد افاض النبي عيسى جميع قلبه في التوسل مع الناس وبسط أكف الضراعة الى الله ليهديهم اليه صراطا مستقيما وليتقربوا منه بمحبتهم ورجائهم وصلاتهم . فلم يدع الالوهية بينهم قط ولو تتبعنا حتى نص انجيل النصارى نفسه لعلمنا منه بانه لما اخذ في تعليم تلامذته كيفية الصلاة امرهم ان يقولوا «ابانا الذي في السموات ليتقدس اسمك . اغفر لنا ذنوبنا الخ» (٢)

(١) سورة ٥ (المائدة) (٢) انجيل متى اصحاح ٦ آية ٩ الى ١٣ وايضاً انجيل لوقا اصحاح ١١ آية ٢ الى ٤ من التوراة

وآخر جميع الانبياء واعظمهم كما يعتقد المسلمون هو محمد (عليه الصلاة والسلام) الذي ولد بمكة لعشر خلون من ابريل سنة ٥٦٩ من التاريخ المسيحي وكانت عائلته من اشرف قبيلة في قريش احدى القبائل الشهيرة في بلاد العرب وصاحبة النسب المرتقى الى اسماعيل اكبر اولاد ابراهيم الخليل وقد كان جده متوليا سدانة الكعبة وكانت دار حكومتهم ومعبد ديانة العرب الوثنية (١) وقد توفى والده الذي كان اسمه عبد الله قبل ولادته (عليه السلام) وتوفيت والدته وهو في السادسة

(١) كانت الكعبة قبل ظهور النبي (عليه السلام) مخصصة للعبادة يحج اليها العرب الوثنيون وكان فيها ٣٦٠ صنما على عدد ايام السنة العربية — وكان من اعظم هذه الاصنام صنم يسمونه (هبل) كان مصنوعا من خرز العقيق على صورة انسان . وكانت له سبعة قداح يضربون بها اذا مستهم حاجة ويقولون : انا اختلفنا فهب السراحا ان لم تقله فمر القداحا . فلما دخل النبى الكعبة يوم فتح مكة جعل يطوف على راحلته ويطعنها بيده الشريفة ويقول (جاء الحق وزهق الباطل) ثم امر بها فجمعت وحرقت بالنار — والذي بني الكعبة على ما جاء في بعض الروايات ابراهيم واسماعيل . وفي رواية اخرى اصح ان زمن

فقط من عمره ومن ثم دخل في حياطة عمه ابو طالب . وكان على اعظم ما يكون من كريم الطباع وشريف الاخلاق ومنتهى الحياء وشدة الاحساس . وفي اثناء وجوده تحت كفالة عمه الذي عامله في كل امر كواحد من ابنائه ابتدأت ان تظهر من محمد علامات الذكاء ورجحان العقل فكان شغفا جدا بالانعكاف على التفكر منفردا عن الناس ومرة سأله احد رفاقه ان يشاركهم في لعبهم فاجابه « ان الانسان خلق للاعمال

بناءها كان في عام ٩٩٣ قبل بناء هيكل سليمان او ٢٠٠٠ سنة قبل التاريخ المسيحي وهذه البناية لم تزل باقية ولو انها الان ازيلت منها اصنامها وخصصت لعبادة الله الحقيقي . اما سقفها فانه مركب على عمدان من خشب القاقلي مرسل من بينها مصابيح صيغت من فضة . وفيها قناة من النضار تخرج الماء المتراكم في سقف الكعبة من المطر . واما الجدران فانها مغشاة من الجهة البارزة بحرير اسود مزركش بلفائف القصب يغير في كل سنة . قال السايح بركهاردت الشهير يصف الكعبة في الزمن الحاضر بما نصه : (ان تأثير المنظر باجمعه والسجوف المدهشة ووفرة الذهب والفضة وتلألأ المصابيح وسجود الجموع الكثيرة تفوق كل شيء يتصوره العقل)

الجليلة والمقاصد الشريفة لا للاعمال السافلة والامور الباطلة » وكان حائزا القوة ادراك عجيبة وذكاء مفرط وعواطف رقيقة شريفة . وكان على خلق عظيم وشيم مرضية شفوقا على الاطفال مطبوعا على الاحسان غير متشدق في نفسه ولا صلف في معاملته مع الناس . وفي رواية انه كان متوسط القامة في هيئته هيبة ووقار (١) اما من جهة تحصيل المعارف واكتساب العلوم على حسب الطريقة الدارجة المعروفة يجب ان نجزم بان محمدا لم يكن له منها نصيب قط . وفي الحقيقة كان اميا لا يعرف ما نسميه نحن الآن كتابا فلم يكن ملما لا بالقراءة ولا بالكتابة . وهذه الحقيقة مشار اليها في السورة التاسعة والعشرين من القرآن في الجملة الآتية « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك »

ولما كمل له من العمر نحو الاربعين سنة اعتزل محمد مكانه لانه كانت له عادة فيما سلف ان يأوى في كل عام الى كهف

---

(١) انظر كتاب (الاسلام اصله وارساليته) تأليف ليبك في الانكليزية

داج في جبل حراء (١) «صخرة جرداء هائلة يشقها اخدود منشق عميق قد قامت بمعزل في البيداء تكسوها الشمس باشعتها الساطعة ذات البهاء والرواء وهي خالية من الاظلال والازهار ليس فيها ساقية ولا آبار» وهو على بعد ساعة من مكة . وكان يقيم في هذا الكهف تقريبا من شهر جالساً وحده صارفا وقته في الافكار الدينية . وبينما كان ذات ليلة من شهر رمضان مستغشيا عباءته وراقدا في هذا الغار اذ سمع بعد ما سكنت الطبيعة وانتصف الليل صوتا كان قد تردد دفعتين فحاول النبي مرتين ان يصرف سمعه عن سماعه ولكن لم يكن في الامكان الامتناع عن الاستماع ثم شعر كان ضيق جلل حل به وكان وقته الاخير قد اقترب ثم سمع هذا الصوت لثالث مرة ولم يقو على منع اذنيه عن سماعه فانكشفت رأسه وانهال عليه بغتة سيل من نور ذي بهاء وبهار لا يطاق فارتاع منه ولما استفاق من روعه رأى امامه ملكا في صورة آدمية يخاطبه قائلا :

(١) الآن يدعى (جبل النور) .

« يا محمد انني جبريل »

ثم طرح الملاك رقعة من الحرير فيها خطوط مكتوبة

« اقرأ » قال الملاك

فكان جواب محمد « اني لا اعرف القراءة » « انني رجل أمي »

اما جواب الملاك له فمذكور في السورة السادسة والعشرين من القرآن وهذا نصه :

« اقرأ باسم ربك الذي خلق — خلق الانسان من علق
اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم !
علم الانسان ما لم يعلم !
كلا . ان الانسان ليطغى :
ان رآه استغنى .
ان الى ربك الرجعى !
أرأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى ؟
أرأيت ؟ ان كان على هدى او أمر بالتقوى ؟
أرأيت ان كذب وتولى ؟
ألم يعلم بان الله يرى ؟

كلا . لئن لم ينته لنسفعن بالناصية .
ناصية كاذبة خاطئة .
فليدع ناديه :
سندع الزبانية !
كلا . لا تطعه واسجد واقترب ! »

ثم اختفى الملاك وفي الحال شعر محمد (عليه السلام) بان عقله قد اضيء بنور الاهي . فلما امعن النظر في الخرقة قرأ الاحكام الالهية المكتوبة فيها وهي التي صدرت فيما بعد في القرآن . ولما انتهى من القراءة تكلم الرسول السماوي ثانيا وقال « حقا يا محمد ستكون نبيّ الله كما اني انا ملاكه جبريل » وبعد ذلك اختفى . ففزع النبي من هذه الرؤيا وحالما اصبح الصباح (١) اسرع محمد الى الحيّ مرتجفا منزعجا وقص على زوجته خديجة حوادث تلك الليلة وقال انه مرتبك الافكار لا يدرى ان كان ما سمعه وشاهده كان حقيقيا وانه امر بان يكون نبياً ومفوضاً بترتيب اصلاح ديني او كان ذلك اضغاث

(١) كان هذا في صباح اليوم الرابع والعشرين من شهر رمضان

احلام او هي اوهام تخيلها العقل او امور ابشع من هذا كله كظهور شبح مخيف . اما خديجة فانها بفطانة الجنس اللطيف الماضية ادركت بان ما حصل كان حقيقيا فابتدرته قائلة « يا لها من اخبار ذات فرح وسرور ألست انت الذي تأتي . وحق الذي بيده نفس خديجة سأعتبرك من هذا الحين نبيا لقومنا فقر عيناً وطب خاطرا ايها الزوج العزيز وكن جزلا مسرورا فان الله لا يوقعك في الخجل . ألم تك محبا لقومك . شفوقا على جيرانك . محسنا للفقراء . مقريا للغرباء . صادقا في اقوالك نصيرا للحق دائما ؟ »

ثم اسرعت خديجة لتلقي ما ألقى اليها الى قريب لها يسمى ورقة بن نوفل وكان عجوزا ضريرا « عارفا بكتب النصارى واليهود المقدسة »

وقد قابل منها في الحال هذه البشارة الغريبة بسرور عظيم ايضاً

وبعد ذلك قال ورقة « الحمد لله ان بن عبد الله يقول الحق وينطق بالصدق . ستأتي الى محمد الشريعة العظيمة كالشريعة

التي اتت الى موسى وحقا ان هذا الرسول (جبريل) هو بعينه الذي اتى لموسى . ان زوجك سيكون نبيا لقومه . قولي له هذا واوصيه بحفظ هذه الاماني في قلبه واعلمي باني ساكون له من المنتصرين » (١)

ثم تقابل الرجلان بعد ذلك في الطريق اما الشيخ الضرير العارف بكتب اليهود والنصارى المقدسة والذي ألم بها وسبر غورها ووقف على الوعد الذي كان مدونا (٢) فيها عن ظهور نبي مواسي لبني الانسان وهاد الى شريعة الرحمن فانه امسك محمدا بيده وقال « اقسم بالذي في يده حياة ورقة ان الله قد اختارك لتكون نبيا لهذا الشعب . والرسول المقدس (جبريل) قد اتى اليك . والناس ستقول عنك انك افاك .

(١) انظر كتاب « الشرقيين » تأليف القس جلمان في الانكليزية

(٢) انظر سفر تثنية الاشتراع اصحاح ١٨ آية ١٥ و ١٨ و ١٩ من اسفار موسى الخمسة لليهود وقد نقله المسيحيون في اعمال الرسل في اصحاح ٣ آية ٢٢ الى ٢٤ واصحاح ٧ آية ٣٧ ولكنهم اطلقوه على المسيح غلطا وانظر ايضا انجيل يوحنا اصحاح ١٦ آية ٧ الى ١٣ من (العهد الجديد للمسيحيين)

وسيضطهدونك . ويبعدونك . ويقاتلونك . فلو كنت اعيش لتلك الايام لكنت ادافع عنك » قال هذا وقبله في جبينه (١)

ورغما عن هذه التأكيدات فان محمدا كان في بادئ الامر لم يزل قلقا مع انه كان شاعرا بان جبريل خاطبه والاحكام التي قرأها كانت لم تزل مطبوعة على قلبه . ولكنه لم يكن متأكدا بعد بان المراد من بعثته ان يعظ الناس مضيفا الى ذلك استهزاء بعض اعيان القرشيين به وفي حالة هذا القلق عول على الاقامة في جانب جبل مقفر وجلس فيه متدثرا في عباءته متفكرا في الحوادث السابقة

وبينما هو متفكر على هذه الحالة واذا بالملاك ظهر له ثانيا وخاطبه :

« يا ايها المدثر ! قم فانذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر ولا تمنن تستكثر ولربك فاصبر فاذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير » (٢)

(١) انظر روضة الصفا لابن هشام حيث يقول في وجه ١٠٣ ان ورقة مات على اثر هذه الحادثة (٢) سورة ٧٤ « المدثر »

وعلى اثر ذلك شعر محمد بان مخاطبته مع الملاك والرسول الالهي كانت مخاطبة واضحة وانه امر بان ينذر ويعلم بما يلقى اليه . فقام وتغلب على كل هواجسه السابقة التي اقلقته وجاهر مهللا : (١)

« والضحى والليل اذا سجى . ماودعك ربك وما قلى . وللآخرة خير لك من الاولى . ولسوف يعطيك ربك فترضى . الم يجدك يتيما فاوى . ووجدك ضالا فهدى . ووجدك عائلا فاغنى . فاما اليتيم فلا تقهر . واما السائل فلا تنهر . واما بنعمة ربك فحدث » (٢)

ولقد رجع محمد الى الحي وبدأ في نشر لواء الحق اولا بالسكينة والهدو فكان اول من آمن به من النساء زوجته ومن الشبان علي بن عمه وكذلك عدد قليل من اقرب اقاربه ولكن عائلته في الغالب قابلت دعوته بالاهانة والاحتقار . ومن حسن نية محمد ان اول من اسلموا كانوا من اخص اصدقائه

(١) انظر كتاب « الشرقيين » لجلمان في الانكليزية
(٢) سورة ٩٣ « الضحى »

وعشيرته ممن وقفوا باجمعهم كما كان لابد منه على اسرار حياته الشخصية وقوفا تاما فلم يكن يمنعهم مانع عن ان يظهروا تلك الاختلاقات التي لم تزل تفتري عنه وتزاع بين الملأ بلاانقطاع فشتان بين مزاعم المخادع في العالم وبين نبوة هذا النبي

وبعد سنين قليلة انقضت ايام محمد في حالة تعصب واضطهاد واذي مستمر امتد ايضا الى اتباعه القليلين وحقا ان اعداءه عرضوا عليه مرة ان يغمروه بالمال ويجذلوه بالنوال او يقلدوه الرئاسة ويولوه الزعامة ان كان يتخلى عن اعماله . اما النبي فانه اجابهم بذكر الآية الآتية من السورة الحادية والاربعين من القرآن وهي : —

« واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم »

اما اخصام محمد فانهم اجابوه على ذلك بطلبهم منه ان يأتي لهم بمعجزة تؤيد بعثته الالهية . اما هو فانه ابى وقال انه انما ارسل لنشر لواء الحق وليس لعمل معجزات او افتراء المفتريات ثم انه في الوقت ذاته طلب من المشركين ان يأتوا باي عبارة

تضارع ولو آية واحدة من القرآن سواء كان في الفصاحة او البلاغة

وفي الحقيقة انه لم يرد اى دليل او يظهر اي برهان قط يدل على ان محمدا تنازل في اي وقت من الاوقات الى عمل حيل او معجزات باطلة لتأييد نبوته او لاثبات دعواه في انه رسول من الله بل بالعكس اعتمد كل الاعتماد على الادلة الراجحة والبراهين الصحيحة والفصاحة الواضحة فكان يستعين بالالهامات الاكيدة التى كانت توحى اليه بواسطة الوحي الالهي فاستمر في عمله رغما عن انف المعارضات التي كانت تقيمها امامه عوامل الجهل والتعصب لصده عن سبيل النجاح

هذا وقد اخذ محمد في وعظ الناس بمكة جهارا وكانت توابعه تزداد في كل يوم . اما اماكنه الرحبة التي كان يعظ فيها فكانت جبال صفا وقبيس كلاهما بجوار المدينة (مكة) . واما اعداءه فانهم عند ما تميزوا من الغيظ حاولوا ان يسكتوه بوسائل القوة والتهديد الشديدين

ولما اخذت المعاكسة حدها وبلغت من التوحش منتهاه

ظهرت بسالة محمد . وقد كان عمه يحاول ان يستميله الى ايقاف سيره ويحمله على ترك خطته ولكن النبي لم يتبع قصده ويقف اثره بل جاوبه قائلا « اذا وضعوا الشمس عن يمينه والقمر عن يساره فانه لا يترك مهمته ولا ينثني عن عزيمته » (١)

ولقد ازداد التعصب والاضطهاد في مكة ضد محمد وصحابته ولذلك نصح النبي اتباعه ان يبادروا الى النجاة بالهجرة الى المدينة (المنورة) حيث تقيم فيها عصابة من المسلمين فقبل اكثرهم هذه النصيحة وبارحوا مكة وبقى هو متخلفا بعد واعظا ومشهرا عقيدة الوحدانية بالله . واخيرا عزم اعداءه على ان يمدوا اليه يد الغدر والخيانة ولذلك خرجت جماعة من اشقياءهم كي يقتلونه فى نومه ولكن قبل ان يصلوا بيته كان اوحي الى محمد عن هذا الخطر المحدق . فذهب النبي الى بيت ابو بكر واتفق معه على سرعة الهجرة . اما اولئك الطغاة فانهم وصلوا الى مبيت محمد ونظروا من شق في الباب فتخيل لهم بانه نائم فى

(١) انظر كتاب « الاسلام اصله وارساليته » تأليف — ليك في الانكليزية

فراشـه وملتف فى عباءته الخضراء . ثم انهم توقفوا قليـلا يتشاورون فيا بينهم عما اذا كانوا ينقضوا عليه في نومه او ينتظرونه الى حين خروجه واخيرا كسروا الباب وانقضوا على الفراش اما النائم فانه وثب قائمـا واذا به غير محمد فانه كان عليـا فوقف امامهم مندهشا متعجبـا فصاحوا فيه قائلـين « اين محمـد ؟ » فاجابهـم عليّ بحدة قائلا « لست ادري ! انني لست حارسه ! » وخرج دون ان يتجرؤا على مسه باذي (١)

وفى غضون ذلك اغتنم النبي وابو بكر فرصة الظلام وخرجا من مكة فى جنح الليل وخبأ انفسهما فى كهف عند جبل طور - اكة فى جنوب مكة . هذا وقد اشتد حنق القرشيين الوثنيين وبلغ منهم اشده والذي اهاج غضبهم الشديد وزاد في جنونهم نباء فشل حركاتهم ونجاة النبي من ايديهم ولذلك قامت . جماعة من فرسانهم وامتطت صهوة الجياد الصافنات وخرجت

(١) انظر كتاب « حياة محمـد » تأليف ايرافنج في الانكليزية

تفتش عليه وجعلوا جائزة من المال لمن يأتى برأسه (١)

وما استقر المهاجران فى الكهف حتى سمعا اصوات مطارديهم المختلفة . ومع ان ابو بكر كان رجلا صنديدا الا انه غلب عليه الخوف لئلا يكتشف على مخبأهم ولذلك قال « ان اعداءنا لكثير عددهم ونحن اثنان فقط »

فاجابه النبي « كلا . نحن ثلاثة لان الله معنا وهو لنا من الحافظين »

ولقد اقام المهاجران في الكهف مدة ثلاثة ايام دون ان يعلم بهما احد . وفي اليوم الرابع خرج محمد طالبا المدينـة وعند وصوله اليها استقبل من الاهالي استقبالا عظيما احسن مما يستقبل به اى منتصر يرجع الى قومه بالفوز المبين من مهاجر منفي يطلب ملجأ ويرجو ملاذا

وقد استراح محمد قبل دخوله المدينة في قرية تسمى القبة كيما يثق تمام الوثوق بسرور الاهالي وترحابهم باقامته هنالك (في

(١) ان المال الذي جعلوه لتلك الغاية كان ثمن مائة جمل كما جاء في كتاب ابن هشام صحيفة ٣٢٨ وفي ابن الاثير جزء (٢) صحيفة ٨١

المدينة) ولما وثق من ذلك عول على الانتقال من هذا المكان في اليوم التالي وكان يوم الجمعة وفي هذا الاثناء حضر عليّ الامين الذي عومل من الوثنيين معاملة سيئة بعد خزلانهم ونجاة النبي منهم ولحق به . ولما اصبح الصباح ركب النبي براقه الاغر وركب ابو بكر خلفه واحاط بهما جمهور من المسلمين وكان في المقدمة قائد باسل تحت قيادته سبعون رجلا يتبعون النبي لحرس له وآخرون من المسلمين كانوا ينشرون فوق رأسه مظلة اتخذوها من سعف النخل . ثم جاء احد المسلمين الغيورين وفك عمامة له خضراء وربطها فى أعلا رمحه وحمل هذا الرمح وجعله كالعلم (١)

وانا لنجد امرا جديرا بالالتفات وهو ان جميع مؤرخي الاسلام يحسبون التاريخ من وقت هجرة محمد الى المدينة وهو ما يسمونه « الهجرة » وتعتبر اول سنة من التاريخ الاسلامي وهذا بالطبع مشابه للمسيحيين في حسابهم تاريخ سنيهم من

(١) ان لون العلم المقدس عند المسلمين صار اخضر من ذلك الحين

تاريخ ولادة المسيح (١)

ولقد كان محمد في مكة موضوع الاضطهاد والسخرية اما في المدينة فقد انعكست فيها كل هذه الامور وذلك ان اهل هذه المدينة التي لجأ اليها واتخذها دار هجرته اتوا اليه ليقدموا له واجب الاخلاص ويرفعوا له شعائر الولاء بقلوبهم وارواحهم « فلا ملك ذو تيجان وصولجان حاز اعتبارا ونال طاعة مثل ما كان لهذا الرجل الذي كان يلبس العباءة البالية والثياب الواهية » (٢) ومع كل هذا فانه كان رجلا شريف النفس سليم الطوية طيب القلب لين الجانب

وقد خرج مرة في آخر ايامه الى المسجد وكان ذلك قبل وفاته بيومين ونادى جهارا في المصلين قائلا «هل اسأت احدا

(١) ان اعتبار (الهجرة) كاول سنة من التاريخ الاسلامي كان بامر الخليفة عمر بعد وفاة النبي بسنين قليلة . والسنة العربية هى سنة قمرية وتبتدئ من اول يوم من شهر محرم . — انظر تاريخ (العرب) في الانكليزية تأليف كريتشون

(٢) انظر كتاب (الاقوياء والديانة القوية) في الانكليزية تأليف كارليل

منكم ؟ فمن اصابته مني اي اساءة فليقتصها مني » فلم يجبه اي انسان ثم قال « هل لاحدكم عليّ دين ؟ » فارتفع صوت وصاح « ان لي عندك ثلاثة دراهم اقترضتها مني في بعض حاجاتك » فامر محمد بدفع هذا المبلغ وقال « خير للمرء ان يخجل في هذه الدنيا من ان يخجل في يوم الحساب »

وان المقام لايسمح لنا بزيادة الاسهاب في ذكر حياة ونبوة محمد فنكتفي منها بقولنا ان الفئةالقليلة قدتضاعفت الى الالوف وعشرات الالوف حتى صارت جميع بلاد العرب تسجد لعبادة الله الحق . ولنذكر هنا وفاة النبي فنقول انه عند شعوره بان ايامه في هذه الدنيا آخذة فى الانتهاء وان نجم حياته قد قارب على الافول صرف اوقاته الاخيرة في الصلاة والتسبيح . ولما حان وقت رحيله الى الاقطار السماوية تنفس الصعداء وهو راقد على مضجعه وقال « اللهم خذ بيدي وساعدنى على سكرات الموت وكن قريبا من عبدك واشمله برعايتك » وكانت زوجته قائمة تصلي بجانبه وبينما هى فى سجود وركوع قال « الهي اغفر لعبدك خطاياه وامنحه عفوا منك والحقه بالقوم الصالحين

. . . وادخله في جنة الفردوس التي لا تزول . . . اللهم عفوا . . . نعم . . . اني لآت . . . الى زمرة القوم الصالحين واحشر معهم في عليين ! » وهكذا اسلم الروح بسلام واطمئنان على سجادة مفروشة على الارض (١) ولحقت نفس النبي بربه وكان ذلك في يوم الاثنين ٨ يونيه من سنة ٦٣٢ من التاريخ المسيحي وفي السنة العاشرة بعد الهجرة

« وهكذا انتهت حياة الرجل الوحيد في تاريخ العالم الذي جمع في آن واحد بين شاعر ونبيّ ومتشرع ومؤسس لدين ومملكة » (٢)

ولقد كتبت عدة كتابات عن صفات محمد وشمائله باقلام شتى من كتاب المسيحيين واكثر كتاباتهم هذه قد صبغت بصبغة فاحشة من التعصب وخضبت بخضاب الحقد واللدادة الامر الذي يؤسف عليه لوجوده بين قوم يقولون انهم اتباع « المسيح الوديع المتواضع » . وعلى كل حال فان بعض كتاب

(١) انظر « تاريخ انحطاط وسقوط الامبراطورية الرومانية » في الانكليزية تأليف — جيبون . (٢) انظر كتاب « الشرقيين » تأليف — جلمان

هذا العصر الحاضر كادوا ان يعرفوا بان الطعن والقدح والشتم والسب ليس بالحجة ولا البرهان فسلموا بذكر كثير من صفات النبي السامية وجليل اعماله الفاخرة فكتب المستر جون دافنبورت John Davenport في هذا الموضوع في كتابه الجليل المسمى « محمد والقرآن » ما نصه (١) « بقدر ما نرى صفة محمد الحقيقية بعين البصيرة والتروي في المصادر التاريخية الصحيحة بقدر ما نجد من ضعف البرهان وسقط الادلة لتأييد اقوال الهجو الشديد والطعن القبيح الذي اندفق على رأسه وانهار عليه من افواه ماراكي وبريدو وحديثا من افواه فريدريك وشيلجل وغيرهم »

وان الآراء التي ابداها توماس كارليل T. Carlyle عن النبي لغريبة في بابها ونحن لا يسعنا ان نضرب كشحاً عن اثباتها كما هي . قال — « ان ابن البادية الطيب القلب

(١) هذا الكتاب طبعه دافي وشركاه سنة ١٨٨٢ في شارع لونغ ايكر نمرة ١٣٧ بمدينة لندن . (وهذه العبارة المقتبسة منه مذكورة فيه في وجه ٥٣)

قد كان له بعينيه النجلاوتين ونفسه الطاهرة الزكية افكار بعيدة عن دواعى الجشع والطمع فكان بهدوه وعظيم اخلاقه فردا من اولئك القوم الذين لا يسعهم الا ان يكونوا من اولي العزم والجد والذين خصتهم الطبيعة نفسها بان يكونوا من اهل الاخلاص وحسن السيرة والسريرة وبينما كان كثيرا من الناس يمرحون في بوادي الاحكام ويستمرئون مراعى الاقاويل والاخبار كان هذا الرجل على نقيض من اعمالهم فكان قائما بذاته مكتفيا بحقائق الامور . وان خفايا الوجدان العظيمة قد هطمت عليه وانبهرت فيه بهولها وبهائها وليس في الامكان اخفاء هذه الحقيقة الوضاءة التي تقول « ها انا » فمثل اخلاص هذا الرجل الذي نتكلم عنه له في الحقيقة شيء من جانب القدرة الالهية . وان الكلمة الواحدة من مثل هذا الرجل كصوت يبعث من قلب الطبيعة نفسها وانه لمن الواجب على الناس ان يعيروا التفاتهم الى هذه الحقائق وان لا يصدقوا عنه شيئاً آخر لان كل ما خالف ذلك انما هو افتراء وتزوير . ولقد كان في هذا الرجل من سالف

الزمان الف فكر في حجه وسفره فقد كان يقول « ماذا أكون انا وما هذا الشيء الذي لا يسبر له غور ولا يدركه الانسان وهو الذي اعيش فيه والذي يسميه الناس عالما ؟ ما هي الحياة ؟ ما هي الممات ؟ ما الايمان ما العمل ؟ فما كان احد يدله على شيء لا صخور جبل حراء ولا جبل سينا ولا الخلوة الموحشة ولا السموات العظيمة المقامة فوق الرؤس بانجمها الزاهرة بل كان يدرك الامور بنفسه وبالوحي الذي كان ينزل عليه من لدن الحضرة الآلهية »

ولنشرع الآن بوجه الايجاز في ايضاح العقائد الاسلامية التي لم نذكرها قبل فنقول

قد رأينا قبل الآن ان الاساس المهم والمبدأ العظيم في الاسلام هو الاعتقاد باله واحد في وحدانيته ونبذ الخرافات باي وجه كانت . وقد اشرنا ايضاً الى الانبياء الستة الكرام اصحاب المقامات العالية وزيادة على هؤلاء يوجد لفيف من الانبياء الآخرين اصحاب الدرجات المتوسطة مثل داود وسليمان واليسع وايوب وذكريا ويحي والياس واسماعيل

وادريس وهود وكثيرون غيرهم (١)

والعقائد الاولية الاخرى هي الايمان بملائكة الله المقربين او الارواح المقدسة وهم متفاوتون في درجاتهم واعمالهم وتقربهم من المولى . فبعضهم يتعبد حول العرش المقدس وآخرون يسبحونه بكرة واصيلا والبعض رسل ذو اجنحة لقضاء اوامره وآخرون للشفاعة في خير النوع الانساني . والاكبر مقاما واسنى رفعة من هذه الطائفة السماوية هم الاربعة ملائكة الرؤساء — الا وهم جبريل ملك الوحي الذي يكتب الاحكام الآلهية وميكائيل المحارب الذي يقاتل اعداء الدين وعزرائيل ملك الموت واصرافيل الموكل بالمأمورية الهائلة لينفخ في الصور يوم القيامة . وبين الملائكة الذين من الدرجة الصغيرة قوم يسمون الكاتبين منهم اثنان موكلان بالمراقبة على كل انسان — واحد على اليمين والآخر على اليسار

(١) ان داود وسليمان وايوب وغيرهم من الاسماء المذكورة في المتن مذكورة في السورة ٦ — الانعام . واسماعيل وادريس مشار اليهما في السورة ١٩ — مريم . وهود في السورة ٢٣ — مؤمنون

- يكتبان كل كلمة وكل عمل . وفي آخر كل يوم يصعدان الى السماء بتقريرهما المكتوبين ويبدلان بملكين آخرين مثلهما في اليوم الثاني وعلى ما جاء في بعض الروايات الاسلامية ان كل عمل صالح يقيده الملاك الذي على اليمين بعشرة امثاله واذا اقترف الانسان اثما يقول ذات هذا الملك الطيب للملك الذي على اليسار « تمهل في كتابته سبعة ساعات عساه ان يتوب ويستغفر وينال غفرانا »

هذا وتوجد عقيدة أخرى وهي الايمان بكتب الوحي الآلهي المقدسة وعلى الخصوص بالكتاب الموحي به اخيرا الذي يعرف « بالقرآن »

وان كلمة قرآن مشتقة من فعل قرأ وتفيد القراءة حسب المعنى الحرفي في العربية او بعبارة أخرى « ما يراد قراءته » . والقرآن منقسم الى ١١٤ جزءا متباينة في التطويل جدا ويعبر عنها بالسور وهى مشابهة للاصحاحات وكل سورة منقسمة الى اجزاء صغيرة او آيات مختلفة ايضاً في التطويل جدا . ولكل سورة اسم او عنوان مخصوص تسمى به وهو يؤخذ بعض

الاحيان من مادة فيها بحث خصوصي او من اسم شخص مذكور فيها وفي الغالب انها تسمى باول كلمة تذكر في ابتدائها

وعند اول كل سورة ما عدا السورة التاسعة فقط « توبة » تجدها محلاة بعد الاسم رأساً بحلي باهر وموشاة بطراز فاخر وهو « البسملة » التي هى « بسم الله الرحمن الرحيم »

والقرآن مسلم به من العالم طرّا انه انزل بغاية ما يمكن من فصاحة اللغة وبلاغتها وهو حسب الاقرار علم اللسان العربي ولواؤه . واسلوبه على وجه العموم جميل الانشاء فصيح العبارة سيما عند ذكر الاوصاف النبوية وهذا الكتاب منه قسم عظيم مدون فيه الوقائع التاريخية لاعمال الله واعمال انبيائه في سالف الزمان . والقسم الآخر مشتمل على بيان الشرائع والنظامات الضرورية والنصائح والعظات الجمة للفضائل الادبية والالهية وفوق كل ذلك لعبادة الاله الحق الصمد وتقديسه والخضوع لارادته (١)

ومن الوجه العلمي بصرف النظر عن انه كتاب موحى به

(١) انظر خطبة سيل الافتتاحية في ترجمته للقرآن

فالقرآن ابلغ كتاب في الشرق والقسم الاعظم منـه منزل بالنثر المسجع طبقا للذوق الذى انتشر في الزمان الاول في الجزء المتمدن من العالم . وهو يتفجر بالمجازات الساميـة ويفيض بالاستعارات الباهرة ولقـد تكلم امرسن Emerson في مواضيع كثيرة من تآليفه عن القرآن بكلام يشف عن الوقار وعبارات الاحـترام وهـاك جويث Goethe قد رأى ان « القرآن كتاب يكل منه القاري في بادئ الامر ثم انه ينجذب بمحاسنه واخيرا لا يلبث ان يتصبب فيه تصبيا شديدا ويولع به ولعا زائدا لكثرة فصاحته وبلاغته » وكارليل Carlyle يقول « اذا اتيت مرة بهذا القرآن الحسن ترى كتاباته الجوهرية تأخذ في الظهور وتكشف عن محيا بيانها بنفسها وفي هذا من الفضل العظيم مالا يوجد في كتاب علي . ولقد يكون لبعض الكتب المؤلفة شئ من التأثير على الاذهان على ان التصانيف والمؤلفات ليست بشئ يذكر في جانب ذلك الكتاب وان الانسان ليقول ان مزايا القرآن الاولية واركانه الاساسية انما هي من صحته وحقيقة مبانيه ومن انه كتاب

لا ريب فيه وان الاحساسات الصادقة الشريفة والنوايا الكريمة تظهرلي فضل القرآن . الفضل الذي هو اول وآخر فضل وجد في كتاب تأتي منه جميع الفضائل على اختلافها - لا بل هو الكتاب الذي يقال عنه في الختام وبه فليتنافس المتنافسون لكثرة ما فيه من الفضائل المتعددة » (١)

وقـد تكلم السر وليم موير Sir William Muir عن هذا الكتاب المقدس فقال « القرآن كتاب طافح الحجج كثير البراهين المنزلة من جانب القدرة الآلهية لاقامة الدليل والبرهان على وجود الله وعلى انه هو الحاكم القوي والسلطان الاكبر ولانفاذ احكامه الجليلة على الانسان وبيان المكافأة على العمل الصالح والقصاص على الخبيث في العالم الآتي ووجوب اتباع الفضيلة واجتناب الرذيلة وطاعة الخلق وسعادتهم في عبادة الخالق والسجود له وهكذا من امثال هذه النبذ الموضحة بعبارات الرقة والانسجام والفائضة بالبلاغة الحقـة وكذلك

(١) انظر كتاب « الاقوياء والديانة القوية » في الانكليزية تأليف كارليل

ايضا النصوص المعقولة عن ذكر يوم القيامة فانها مذكورة بكثير من العبارات المؤثرة على النفس سيما بمقارنة الاراضي القاحلة من هذه الدنيا حيث تنقلب على بغتة الى ارض طيبة تجري من تحتها الانهار » وقد اشار واشنطون ايرفنج Washington Irving الى هذا الموضوع ذاته بقوله « القرآن فيه قوانين زكية سنية بهية » (١)

هذا واحكام القرآن ليست مقتصرة على الفرائض الادبية والدينية فقد قال جيبون Gibbon « القرآن مسلم به من حدود الاقيانوس الاتلانتيكي الى نهر الجانجس بانه الدستور الاساسي ليس لاصول الدين فقط بل للاحكام الجنائية والمدنية وللشرائع التي عليها مدار نظام حياة النوع الانساني وترتيب شؤنه » . وبعبارة أخرى هو القانون العام للعالم الاسلامي فهو قانون شامل للقوانين المدنية والتجارية والحربية والقضائية والجنائية والجزائية ثم هو قانون ديني يدار على محوره كل امر

(١) انظر كتاب « حياة محمد » في الانكليزية تأليف واشنطون ايرفنج

من الامور الدينية الى امور الحياة الدنيوية ومن حفظ النفس الى صحة الابدان ومن حقوق الرعية الى حقوق كل فرد ومن منفعة الانسان الذاتية الى منفعة الهيئة الاجتماعية ومن الفضيلة الى الخطيئة ومن القصاص في هذه الدنيا الى القصاص في الآخرة (١) » وان الشريعة المحمدية تشمل الناس جميعا في احكامها من اعظم ملك الى اقل صعلوك فهي شريعة حيكت باحكم واعلم منوال شرعي لا يوجد مثله قط في العالم » (٢) وعلى ذلك فالقرآن يختلف ماديا عن الكتب المسيحية المقدسة التي بناء على ما قرره كومب Combe (٣) « ليس فيها شيء من الاصول الدينية بل هي في الغالب مركبة من قصص وخرافات واختباط عظيم في الامور التعبدية وصفات ادبية الا انها غير معقولة وعديمة التأثير » ولقد كان محمد مقتنعا بالاضرار الناجمة من رجال الكهنوت في المسائل السياسية

(١) انظر كتاب « محمد والقرآن » تأليف داڤنبورت (٢) انظر (شكوى وارن هاستنج) لادماند بورك (٣) انظر مقالته على العلاقة بين العلم والدين

ومن مصالحهم الشخصية لافساد جميع الحكومات فلم يستحسن وجود مثل هذه الامور في ديانته ورغب في ان كل مسلم يجب ان يكون معه نسخة من القرآن ويجعلها نصب عينيه

وعلى ذلك فالاسلام ليس فيه كهنوتية فعلماء الشريعة علماء الدين لان الشريعة انما هي القرآن وعليه فانهم لا يتقاضون شيئا من الاعشار او اوقاف المعابد فوظائفهم ليست كهنوتية بل قضائية

والقرآن يقول ان جميع الناس على حد سواء عند الله : —

« يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير (١) » ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات الى الله مرجعكم جميعا » (٢)

« والاسلام يقول بعدم التمييز في الجنس او اللون فلا تمييز فيه بين من كان ابيض او اسود او بين ابن مدينة او جندي او بين حاكم او محكوم فكل فيه على حد سواء تماما وهذا ليس

(١) انظر سورة ٤٩ « الحجرات » (٢) سورة ٥ « المائدة »

بالقول فقط ولكن بالفعل . فلا فرق بين المقيم في الحقول والمقيم في المنازل والمقيم في الخيام او المقيم في القصور والجالس في المساجد او في الاسواق فهم يتساوون دون تفضيل او تمييز فاول مؤذن في الاسلام وهو صحابي تقي ومسلم تقي كان عبداً زنجيا » (١)

ونحن لا نتكلف التلميح نحو العقيدة الاسلامية من حيث الاعتقاد بيوم البعث والنشور والفردوس وبيان الاحسان والقصاص ومن حيث الاعتقاد بالقضاء والقدر ايضاً لان كل من له المام باصول الدين المسيحي المتعارفة يعرف جميع معاني هذه النصوص

اما فروض الاحسان فانها مفروضة فرضاً مؤكدا على جميع المسلمين كما يدل على ذلك الاقتباس الآتي من القرآن وهو: —

« واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين احسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت ايمانكم ان الله

(١) انظر كتاب « حياة وتعاليم محمد » تاليف السيد امير على

لا يحب من كان مختالا فخورا . الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما اتاهم الله من فضله ... والذين ينفقون اموالهم رياء الناس » (١)

وايضاً في العبارة الآتية

« ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا . انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا » (٢)

واما الصدقة فانها موصي بها وصية خصوصية كما رأينا الآن وكما تدل على ذلك العبارتان الآتيتان

« يسألونك ماذا ينفقون ؟ قل ما انفقتم من خير » (٣)

وايضا

« فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى » (٤)

الا وان آداب القرآن لمن اجل السجايا واسمى المزايا فليس فيه شيء من خبيث الكلام وهراءه

(١) انظر سورة ٤ « النساء » (٢) انظر سورة ٧٦ « دهر »

(٣) سورة ٢ « البقرة » (٤) سورة ٩٢ « ليل »

« ان الله لا يحب من كان خوانا اثيما » (١)

« يا ايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا » (٢)

اما الحسد فقد نهى عنه القرآن ايضا فقال :

« ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض » (٣)

وناهيك عن احترام الجنس اللطيف (النساء) فانه مؤكد عليه ومحتم به . فلا يوجد قانون نظامى ولا دستور شرعى في العالم يأمر باحترام الامهات احتراما كليا مثل الشريعة الاسلامية ولا غرو فالقرآن فيه الوصايا الآتية

« اتقوا الله الذي تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا » (٤)

ولما سئل النبي الكريم عن مكان الجنة وعن كيفية الحصول عليها قال « الجنة تحت اقدام الامهات »

وليس هذا مجرد كلام من الشفاه او ذبذبة بين المسلمين

(١) سورة ٤ « النساء » (٢) سورة ٤٩ « حجرات »

(٣) و (٤) سورة ٤ « النساء »

فترى فى هذه الايام في الاستانة ومصر والاسكندرية واماكن أخرى كثيرة افراداً من الشبان المسلمين الاشداء يحملون على ظهورهم امهاتهم المسيحيات اللواتي بلغن من الكبر عتيا ويذهبون بهن الى اماكن عبادتهن ايام الاحاد وينتظرون خارج هاته الاماكن الى نهاية تعبدهن كي يحملوا امهاتهم ويرجعوا بهن ثانيا الى بيوتهم

وهذا الاحترام ليس مفروضاً فقط على كل مسلم من حيث والدته ولكن قد فرض عليه اظهار الشفقة والعدالة لجميع الجنس الضعيف

ودونك ما جاء في القرآن

« ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وان تصلحوا وتتقوا فان الله كان غفوراً رحيما • وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله واسعاً حكيما » (١)

« للرجال نصيب مماترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب

(١) سورة ٤ « النساء »

مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه أو كثر نصيباً مفروضا » (١)

والاسلام اعظم شريعة في الهيئة الاجتماعية تقول بالعفاف وتأمر بالاعتدال • وناهيك بما ورد في القرآن عن تحريم كلا من الخمر والميسر فقد جاء فيه :

« يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم عظيم » (٢) وايضا « يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون • انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون ؟ » (٣)

والقرآن يأمر ايضاً بتحريم الدعارة والفسق والتطرف في كل شيء انظر (سورة ٤ و١٧) وكذلك الخسة والتعجرف (سورة ٤ و١٧ و١٨) والجشع والطمع (سورة ٤ و٣٣) والنفاق والمداجاة (سورة ٤ و٦٣) والانهماك وراء زينة

(١) صورة ٤ « النساء » (٢) سورة ٢ « البقرة » (٣) سورة ٥ « المائدة »

الحياة الدنيا (سورة ١٠٠ و١٠٢)

والسورة (١) الثلاثون فيها تحريم الربا والرشوة وانواع السلب والخطف الاخرى « وما اتيتم من ربا ليربوا في اموال الناس فلا يربوا عند الله . وما اتيتم من زكاة تريدون وجه الله فاولئك هم المضعفون »

« الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا انما البيع مثل الربا واحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وامره الى الله ومن عاد فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون . يمحق الله الربا ويربي الصدقات والله لا يحب كل كفار اثيم . ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون . يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مؤمنين فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله وان تبتم فلكم رؤس اموالكم لا تظلمون ولا تظلمون . وان

(١) انظر سورة ٣٠ « الروم » آية ٣٨ — انزلت في مكة

كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة وان تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون . واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون . » (١)

هذا ومع ان الربا قد حرم بهذا المقدار فقد أحلت التجارة الشرعية « ومن آياته ان يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته ولتجري الفلك بامره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون » (٢)

وبين الامور الاخرى المنصوص عنها في المبادئ الاخوية الحية الصحيحة قول القرآن : —

« اوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين . وزنوا بالقسطاس المستقيم . ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين » (٣)

واما ما يتعلق بالايتام فهذا نصه

« وآتوا اليتامى اموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا

(١) انظر سورة ٢ « البقرة » (٢) انظر سورة ٣٠ « روم »

(٣) انظر سورة ٢٦ « شعرا »

تأكلوا اموالهم الى اموالكم انه كان حوبا كبيرا » (١)

« فاما اليتيم فلا تقهر . واما السائل فلا تنهر » (٢)

والقرآن لا يوافق على التصنع في اقامة الاحتفالات والتعصب في الطقوس فقد اوضح بان اخلاص القلب وحسن الاعمال هي التي تكون شعاراً للمسلم

« ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتي المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب واقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون » (٣)

وهذه الفضائل الآتية فانها ايضاً موصى بها فقد تحتم بوجوب تقوى البنين واداء واجب الحمد والممنونية لله والامانة في الاعمال والاخلاص والعدل دون تميز بين الناس والعفة

(١) انظر سورة ٤ « النساء » (٢) انظر سورة ٩٣ « ضحى »
(٣) انظر سورة ٢ « البقرة »

والحشمة حتى في التكلم وفك رقاب المأسورين والصبر والطاعة والاحسان والصفح عن الاذي ومقابلة الاساءة بالغفران واتباع الصراط المستقيم وليس ذلك لاجل التقرب من الناس ولكن للتقرب من الله

ومن ضمن الامور الاخرى التي جاء عنها في القرآن ونهى عن اتباعها فهي شدة القساوة في معاملة الارقاء وقتل النفس والتبذير كما انه اوصى بالخضوع والتواضع عند كافة المسلمين واما التوبة فانها مذكورة فيه (١) بالتفصيل

اما الصلاة فانها معتبرة عند المسلمين كاضافة لا بد منها الى الدين الحق وقد رأى محمد انها امر ضروري بهذا المقدار حتى انه سماها « عمود الدين ومفتاح النعيم » وفي الحقيقة ان النبي دقق النظر فيها جليا واتفق في ذلك مع جمس مونتجومري James Montgomery الذي قال في قصيدة له بما يطابق افكار النبي في هذا الموضوع حيث قال :

(١) انظر سورة ٣ و١٧ و٢٤ و٢٦

ان الصلاة منتهى شوق النفو
س اضمر المرء بها او أجهرا
انوارها بين الضلوع تختفي
تملأ القلب ذكاء انورا
ان الصلاة خير سلوى مذنب
يجود بالدمع لها تحسرا
مرددا للطرف وهو ذاكر
وقربه من ربه سرّ سري
ان الصلاة اسهل القول لذا
لك من شفاه رضع كادت ترى
اريجها الساري سرى فوق الثري
وفضلها في كتب الله يرى
ان الصلاة خير نهج لامرء
للطرق العوجاء زهدا هجرا
في الملاء الاعلا ينادون له
بشراك فزت بالصلاة سحرا

ان الصلاة انسها وروحها
لجوهر فيه حياة للورى
فتكشف الغم اذا حان القضى
وتكفل الفردوس من غير مرا (١)

وقد ورد انه في السنة التاسعة من الهجرة قام الثقفيون عند ما قدموا طاعتهم للنبي بعد ما ظهر كذبهم وافتضح امرهم في تمسكهم بصنمهم الذي كانوا يعبدونه والتمسوا منه انهم على الاقل يعافون من تأدية الصلاة المفروضة على المسلمين فرفض محمد طلبهم واجابهم قائلا « ان هذا الدين لا يمكن ان يكون فيه صلاح ان لم يكن فيه صلاة ينادي فيها بحيّ على الفلاح » والقرآن يحتوي على كثير من النصوص المحتمة على المسلمين ضرورة الصلاة — وهذه الاقتباسات الآتية نذكرها عنوانا على الباقي : — « واتل ما اوحي اليك من الكتاب واقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله اكبر »

(١) انظر توسل جمس موتجومري في قصيدته « ما هي الصلاة » المذكورة في ديوانه

« ان الذين يتلون كتاب الله واقاموا الصلاة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور »

« وامر اهلك بالصلاة واصطبر عليها »

« وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل واطراف النهار »

والقرآن فيه كثير من السور الرائقة والفصول الشائقة التي يستعملها المسلمون في صلاتهم كما يفعل المسيحيون مثلا فيما يسمونه « صلاة الرب » وها نحن نضرب من ذلك مثلا ونذكر منها ما يعرف « بالصلاة الاولى » او ما يقرأ في اول الصلاة وهي اول سورة من القرآن وهذا نصها : —

« الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين . اياك نعبد واياك نستعين . اهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين انعمت عليهم . غير المغضوب عليهم ولا الضالين . آمين »

وتوجد صلاة اخرى تسمى « صلاة الملائكة » مذكورة في السورة الاربعين (١) هذا نصها : —

(١) هذه السورة تدعى « سورة المؤمن » وانزلت في مكة

« ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم : ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم انك انت العزيز الحكيم . وقهم السيئات ومن تقي السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم »

والقرآن لا يستحسن المدعين الصلاة ولا المتظاهرين بالصدقات ولذلك جاء فيه : —

« ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالي يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء » (١)

« فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون والذين هم يراؤن ويمنعون الماعون » (٢)

ولقد قال احد الكتاب المجيدين (٣) « ان اقصى الجلال

(١) انظر سورة ٤ « النسا » (٢) سورة ١٠٧ « ماعون »

(٣) انظر صحيفة ١٢٠ من الجزء الاول من كتاب « مصر الحديثة » تأليف لين في الانكليزية

ومنتهى الوقار يشاهد في محل عبادة المسلمين حيث لا يأتون اثما ولا يرتكبون ذنبا سواء في كلمة واحدة او اي عمل من الاعمال يكون غير لائق اثناء صلاتهم فلا تراهم الا منهمكين في عبادة خالقهم دون تكلف يبدو منهم او اجبار يلوح على وجوههم »

وان من ضمن محاسن القرآن العديدة امرين واضحين جداً احدهما علامة الخشوع والوقار التي تشاهد دائما على المسلمين عند ما يتكلمون عن المولى او يشيرون اليه فانك تراهم لا ينسبون له العجز والقصور ولا الشهوات البشرية قط . والثاني خلوه بالمره من جميع الامور الدنسة البذيئة وتجرده من القصص والخرافات وذكر العيوب والسيئآت والخ الامر الذي يؤسف عليه كثيراً لوقوعه بكثرة فيما يسميه المسيحيون « العهد القديم » وحقا ان القرآن خال من هذه الشوائب الغير منكورة وهو لا يحتاج الى اقل تنقية وتطهير فيمكن قراءته من ابتداءه الى منتهاه دون ان ترى منه اي خجل يخضب وجنة الادب (١)

(١) انظر كتاب « محمد والقرآن » تأليف دافنبورت في الانكليزية

ولقد دون جماعة من جهابذة الكتاب الآخرين تقاريظ فاخرة في مؤلفاتهم عن القرآن وعن مشتملاته وهاهو احدهم (١) يقر بنفسه بما نصه : — « من حسن الحظ الوحيد في التاريخ دون غيره هو ان محمدا اسس في وقت واحد ثلاثة اشياء من عظائم الامور وجليل الاعمال فانه مؤسس لأمة وامبراطورية وديانة ومع انه اميّ وقلما كان يقدر ان يقرأ او يكتب فمع ذلك اتى بكتاب هو آية في البلاغة ودستور للشرائع وللصلاة والدين في آن واحد . وهذا الكتاب مقدس الى هذا اليوم عند سدس جميع العالم ومعتبر كمعجزة في علو انشائه وحكمه وصدق عباراته وهو المعجزة التي يتمسك بها محمد — معجزته القوية كما يقول . وحقا انه لمعجزة » . وقد عثرت في « دائرة المعارف العامة » (٢) Popular Encyclopedia على نبذة نصها كما يأتي : — « ان لغة القرآن معتبرة بانها من افصح ما جاء

(١) انظر صحيفة ٣٤٣ من كتاب « حياة محمد » تأليف بوسورث سميث في الانكليزية (٢) انظر صحيفة ٣٢٦ من الجزء الثامن من « دائرة المعارف العامة » المعروفة باسم Popular Encyclopedia

في اللغة العربية فان ما فيه من محاسن الانشاء وجمال البراعة جعله باقيا بلا تقليد ودون مثيل . اما احكامه العقلية فانها نقية زكية اذا تأملها الانسان بعين البصيرة لعاش عيشة هنية » وفي خطب هربرت Herbert lectures وردفيها العبارة الآتية :

« ان شريعة الاسلام شريعة تحتوي على احكام عقلية عجيبة ولا يمكن ان يكون في الوجود شيء احسن منها رجحانا في فصل الاعمال » بينما ترى احد مشاهير القسس المسيحيين (١) يقول بملء فيه « ان دستور القرآن له بلا شك تأثير اعظم عند المسلمين من دستور التوراة عند المسيحيين »

ولقد كتبت عدة كتابات باقلام اعداء الدين الاسلامي حاولوا فيها اعادة الكرة باتهامه بهذه التهمة وهي ان القول بالقضاء والقدر والاسلام عبارة عن نص واحد . ولا يسعني في هذا المقام الا ان اقول بان قولا كهذا انما هو فقط برهان على التعصب الاعمى والجهل المطبق عند الناس الذين يتفوهون

(١) انظر صحيفة ٢٧٩ من كتاب « الكنيسة الشرقية » تأليف دين ستانلي في الانكليزية

به ويشيعونه عن الاسلام فبقدر ما في حياة محمد وكلام القرآن من البراهين المدحضة لذلك فان مذهب القدرية مجرد كلام ومحض افتراء واذا اقتفينا البحث بنوع خصوصي لامرة واحدة بل مرارا في حدس كهذا نجد ان محمدا قد انكره بالكلية بقدر ما امكنه . وهذا الرأي قد اقربه جماعة من مهرة الكتاب وطلبة العلم المسيحيين مثل جون جوسف ليك John Joseph Lake من اعضاء جمعية المترولوجيكال Meterological Society ومؤلف كتاب « الديانة المسيحية ومبادئها الفلسفية واعداءها » وعززه العلامة الدكتور داتش Dr. Deutsch (١)

هذا والقرآن يرفض فكر من يذهب بان القربان يكفر عن سيئات الانسان ويغفر له ذنوبه بل بالعكس فانه يقول صريحا بالمذهب المعقول والفكر المقبول بان كل نفس تجزي بما كسبت وتحاسب وحدها عما فعلت امام الله القائل « وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من اعمالكم شيئا ان الله غفور

(١) انظر كتابته في هذا الموضوع في مجلة « كوارترلي ريفيو »

رحيم » (١) فلنطرح اذا مجموع الالغاز والخرافات المعروفة عند المسيحيين تحت اسم « الفداء والولادة الثانية » على جانب فانهم يقولون ان كل فرد يكفر عن خطيئته ويغفر لنفسه ذلته وبذلك يكون اهلا للدخول في دار الفردوس . مع ان الله سبحانه قال : — « وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى » (٢) — « قل ان ضللت فانما اضل على نفسي وان اهتديت فبما يوحي اليّ ربي انه سميع قريب » (٣) وقال سبحانه ايضا « ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم » (٤)

ولعله يكون من الصواب ان نشير هنا الى ظن فاسد عند المسيحيين وهو انهم يظنون ان المسلمين يعتقدون بان النساء ليس لهن انفس ذات قيمة او ان كان لهن شيء من ذلك فلا محيص من اتلافه حيث ارواحهن تعد كارواح الوحوش السائبة ولا حظ لها من النعيم في الدار الآتية . فهذا المذهب

(١) انظر سورة ٤٩ « الحجرات » (٢) سورة ٣٥ « الخالق »
(٣) سورة ٣٤ « سبح » (٤) سورة ٣٥ « الخالق »

لا ظل له من الاعتقاد عند المسلمين بل الامر بالعكس فقد ورد في القرآن نصوص كثيرة تثبت ان النساء لا يعاقبن في الدار الآخرة فقط على ما اتين من سيء الاعمال بل كذلك يجازين خير الجزاء على ما فعلنه من طيب اعمالهن بمثل ما يكون للرجال وعلى ذلك نرى ان الله لا تميز عنده في الاسلام بين الاجناس (١)

وان الاقتباس الآتي من السورة الرابعة اي سورة (النساء) يمكنا ان نجعله مثالا على كثير من النصوص المتشابهة الواردة في القرآن بخصوص هذا الموضوع وهاك هو : — « من يعمل سوء يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا . ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا »

والتهمة الخرقاء الموجهة ضد الدين الاسلامي هو انه دين يضرب به المثل غالبا في استعمال السيف استعمالا صارما في

(١) انظر القرآن سور ٣ و ٤ و ١٣ و ١٦ و ٤٠ و ٤٨ و ٥٧ والخ

اقامته وانتشاره . فما اكبر هذه الخدعة فالاسلام لم يتحرش لاي دين قط — ولم يتعد على احد قط ولم يتخذ له جواسيس قط ولم يتعمد رد الناس عن اديانها رغم انوفها قط فهو دين قام وانتشر ولكن ليس بوسائل القوة والاستبداد وهذا نص ما جاء في القرآن عن شعار المسلم « لا اكراه في الدين » (١)

« فهل الشرقيون والاتراك والامم الاسلامية الاخرى { قال شاتفليد Chatfield في صحيفة ٣١١ من المجلة التاريخية } استعملوا هذه الوسائل عينها مع المسيحيين مثل ما ارتكبتها الامم الاوربية مع المسلمين . فاللهم ان كان الامر كما يقولون عن اولئك المسلمين وكما يشيعونه عنهم فما كان بحكم العقل يبقى للدين المسيحي في الشرق نصيب وما كان يقام له فيه قائمة»

« ويمكن ان يقال عن صدق وروية » قال الموسيو جوريه Mons, Jurieu « انه لا توجد مقارنة بين قساوة الشرقيين ضد المسيحيين وبين قساوة الباباويين ضد الانجيليين ففي حرب القودوا او في مذبحة يوم سنت بارثولماوس وحدها فقط

(١) انظر سورة ٢ « البقرة »

اهرق فيها من الدماء بسبب الاديان اكثر مما اهرق على يد الشرقيين في كل اضطهاداتهم للمسيحيين . فمن الواجب اذا ان نشفي الناس من علل هذا الاحجاف المعروف عندهم عن الدين الاسلامى بانه دين وحشي اقيم بتخيير الامم في واحدة من اثنين اما الموت او ترك النصرانية واعتناق الاسلام . الامر الغير معقول لان تصرف الشرقيين والحق أولى ان يقال كان بلطف ورقة بالنسبة لمقارنته مع تصرف البابويين الذي فاق على توحش آكلي لحوم البشر » وبالاجمال فان البرهان الذي ذكره كارليل Carlyle في هذه المسألة برهان مفحم وقاطع للالسنة ووحيد في بابه لدحضه لكل ما قيل عن الاسلام من المثالب والمطاعن حتى ان الاستشهاد به لا يمكن ان يناقض فيه او يعترض عليه وهاك ما قاله « لقد قيلت اقاويل كثيرة عن اقامة محمد لديانته بحد السيف فاذا اعتبرنا مثل هذه الاقاويل واتخذناها برهانا على حقيقة دين او فساده فان فيه غلطة كبيرة . تقولون السيف ولكن قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين فانه من المعلوم ان كل دين

جديد في الوجود يكون في ابتداء امره قليل الوجود الى نفر واحد وهو ما لا ريب فيه فيكون هذا الدين قبل انتشاره وظهوره محصوراً اولا في مخيلة شخص واحد لا غير واذ قد علمنا ان رجلا بمفرده فقط من الدنيا باجمعها هو الذي يؤمن به اولا فيكون اذاً هذا الرجل الوحيد عدواً للناس اجمعها فهل يتسنى له ان يأخذ سيفاً ويقاتل به كل العالم لينشر بينهم ديانته ومعتقداته . ان هذا لشيء عجاب فقل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين . وخلاصة القول ان الشيء اذا ظهر ينشر من نفسه بقدر الامكان . وانا لا نجد في الديانة المسيحية سوى انها دائما تمقت السيف على انها قد استعملته فهذا تنصر شارلمان المنتسب للسكسونيين لم يكن بالوعظ والتبشير . وانه ليعنيني امر السيف قليلا . فاني من جهتي أدع الشيء يدافع عن نفسه في معترك هـذا العالم باي سيف او لسان او آلة يمكنه ان يعتضد بها . فذلك ما ندعه ان يعظ ويكتب الكتب ويخترق الكتائب ويفعل كل ما في وسعه ان يفعله فانه بلا شك لا يتغلب في هذا الميدان العظيم الا على ما كان يستحق ان يغلب

لان الشيء لا يتغلب على من هو اعظم منه بل على من هو دونه واقل منه . وانك لترى الطبيعة نفسها في هذه المبارزة العظيمة الحكم فيما نقول وليس من الممكن ان يوجد فيها امراً شططا وشيئاً عبثاً . وان الشيء الذي لا تزعزعه عوامل الطبيعة وهو ما يعرف عندنا بالحقيقة نجدها دون غيرها واضحة اخيراً لذي عينين » (١)

وانا نصرح بان الاسلام خال من شوائب « الذبذبة والهترمة » فلسنا في حاجة الى بيان افك المنافقين والمداجين فالمقام لا يسمح لنا بالدخول في معرض الركاكة والخوض في معمعان السخافة فان حياتنا ديانتنا . ولقد ادرك كارليل Carlyle بذكائه الحاد وقريحته الوقادة هذه السجايا في نبينا وفي اتباعه وعلى ذلك اشار قائلا : « اني على كل حال احب محمداً وأميل اليه لبعده بالمرة عن شوائب الذبذبة فهو ابن البرية البدوي

(١) ان القارئ الذي يرغب ان يتابع البحث في هذا الموضوع باكثر مما هو مذكور هنا فانه يجده مفصلا في كتاب آخر لمؤلف هذا الكتاب يدعى « ديانة السيف » في الانكليزية

النشط النفس الذي لم يكن يدع ماليس فيه . فلم يكن يفتخر بالتظاهر ويتباهى بالكبرياء وايضاً لم يكن مسترسلا في التذلل والانكسار فكان عائشاً بقدرماكان في خبائه وحذائه البالين . وكان يتكلم بوضوح عن جميع احوال ملوك الفرس وامبراطرة اليونان وماكانوا يعملونه . وقدكان يعرف مقدار نفسه جيدا ولم يكن في محمد هذا « عليه الصلاة والسلام » ميل للتصنع والتغرير فلم يكن يعبأ بالتضليل . وذكر الخلاص به في الدنيا والآخرة ولا يعيره اي التفات فان التضليل والتدجيل وما شاكل ذلك من انواع التظاهر بالحقائق والمواربة والتمويه من اكبر الآثام واعظم الجرائم التي يرتكبها الانسان فانها تكون في قلبه وتمتزج بنفسه ولا تنجلي منه بل تبقى مستترة فيه تحت ستار الزخارف ولعمري ان من كان بهذه الصفة فانه لا يكون فقط منبع الخزعبلات ومصدر الترهات بل هو نفسه خزعبلات وترهات . اما محمد فانه كان متحليا بالمبادئ الادبية الحقيقية التيكانت تنزل عليه من جانب القدرة الالهية وكانت ملازمة له الى آخر ايامه . والاسلام من جهة اخرى كاحد

الاديان العظيمة وهو موافق لجوهر الانسان ومساو تمام المساواة للناس . وان نفس المسلم الواحد لتوازي جميع زينة الحياة الدنيا الفانية . والناس حسب ما يقتضيه الاسلام جميعهم على حد سواء وبالجملة فاننا نكرّر القول ونعيده بان ديانة محمد هذه نوع من الديانة المسيحية ولها مبادئ قويمة واصول صحيحة تظهر لمن يتأمل فيها جيداً . ولقدكانت في هذه الاثنى عشر جيلا ديانة للخمس من جميع الجنس البشري ومرشد لحياتهم وزيادة عن كل ذلك فانها ديانة ايمان بالقلب فهؤلاء العرب يؤمنون بها ويجتهدون في ان يعيشوا بديانتهم هذه . وانك لا تجد منذ الاجيال الماضية من المسيحيين او ربما فقط من الانكليز المتأنقين في الازمان الحديثة من يؤمن بدينه كما يفعل المسلمون بدينهم — فانهم يؤمنون به ايمانا صادقا في الدنيا والآخرة ولقد يسمع في شوارع القاهرة عند ما ينادي الخفراء ليلا ويقولون « وحد » ترى المارة تقول في جوابها على ذلك « لا اله الا الله » . الله اكبر ان الاسلام يرن صداه في النفوس وفي حياة هذه الملايين العديدة . والارساليات الغيورة تعظ

به في البلاد البعيدة بين الملايين (اهل ملايا) والزنوج والوثنيون المتوحشون — فيبدلون بذلك القبح بالطيب ويدخلون في شيء هو لهم احسن واعظم » (١)

وقال الدكتور مارقس دودس Dr. Marcus Dods في هذا الصدد ما نصه : — « توجد خصلتان من الخصال الجميلة التي للمسلمين حق في ان يتفاخروا بها ويميزوها عن معتقدات المسيحيين . فهم لا يظهرون اقل تردد او هلع في الاعتقاد بالله . ثم هم يذهبون في مزاولة الشعائر العظيمة الى ان عبادة المولى لا تقيد مزاولتها في المعابد او في اي محل مخصوص »

وقال في قصيدة له هذا نصها : —

هنيئاً للمصلين التقاة * ومن ادوا الفروض الواجبات
لقد حازوا بها شرفا رفيعاً * جليل القدر بين الكائنات
تراهم أينما حلوا اقاموا الـ * صلاة ولو اقاموا بالفلاة
كأن الكون في كل الجهات * مساجد قد أعدت للصلاة

(١) انظر فصل (القوي كالنبي) من كتاب « الاقوياء والديانة القوية » تأليف كارليل في الانكليزية

فلا تلهيهم اللذات عنها * ولا الاموال او زين الحياة
متى ما جاء ميقات لفرض * فلا يدعون فرضاً للفوات
ولو كانوا مع الاعدا بحرب * على ظهر الخيول الصافنات
ولو كانوا ببر او بفلك * على سطح البحور المائجات
ولو كانوا على سفر بعيد * يؤديهم الى اي الجهات
او اختلفت ملابسهم وبانت * مشاربهم بمختلف اللغات
فوجهتهم لبيت الله دوما * بمكة هكذا شأن التقاة
وأثناء العبادة ليس شيء * يشاغل سمعهم في الكائنات
تراهم يعبدون الله جهرا * وسرّا بالقلوب الخاشعات
وتسري روحهم للقدس حباً * لوجه الله اوقات الصلاة
وسيماهم باوجههم تراها * لها نور يضيء الى الممات (١)

« ومن احدى فضائل الاسلام » هذا ما يقوله كاتب مسيحي آخر (٢) « ان مساجده لا تصنعها الايدي وان شعائره

(١) انظر صحيفة ٣٠ من كتاب « محمد وبودا والمسيح » تأليف مارقس دودس في الانكليزية (٢) انظر صحيفة ١٧٩ من كتاب « مسلمونا الهنديون » تأليف هانتر في الانكليزية

الدينية يمكن ان تقام في اي مكان على ارض الله او تحت سمائه »

هذا هو مثال عقيدة الاسلام وهذا هو مثال ايمان نحو ٢٤٠ ٠٠٠ ٠٠٠ نسمة من الجنس البشري الذين لم يزالوا يتمسكون بنبوة آخر الانبياء واعظمهم ويقيمون الصلاة للمولى سبحانه وتعالى في كل يوم خمس مرات

والدين الاسلامي يمتد من مراكش الى جميع سواحل افريقيا الشمالية وجنوبا الى الترنسفال بما في ذلك زنجبار . وهو ممتد في ارض مصر والمملكة العثمانية وفي بلاد العرب والعجم وافغانستان وتركستان وله في الهند اكثر من ٥٧ ٠٠٠ ٠٠٠ مسلماً . وآخذ في الانتشار بسرعة غريبة بين اهل ملايا وله الآن قدم ثابتة في الصين ومستعمرة الراس وحدها فيها خمسة عشر الفا من المسلمين بينما مساجده توجد قائمة في صحاري سيبريا . وفي سنت بطرسبرج يوجد فيها بدون مبالغة جمعية اسلامية قوية الجانب بينما مساعي الارساليات الدائبة على نشر لوائه آخذة في التقدم والنجاح وسائرة في طريق الفلاح فى انحاء شتى من العالم وليس في المملكة المتحدة فقط

هذه هي الاخوية التي ندعو اليها الآن اهل بلادنا في انكلتره . وهذا هو الدين الذي نقدمه لهم ونعرضه عليهم واننا ناشدهم ان يطرحوا على جانب التحامل الذي استولى على عقولهم ورسخ فى اذهانهم من تعصب بقايا اهل الخبث والدهاء من علماء اللاهوت وان يضربوا كشحاً عن تمسكهم بالشروح المعوجة عن اعتقاد ديني معلوم بانه من المستحيلات وهو المعروف بالسر الغامض فان الاسرار الغامضة والاوهام الباطلة والرعونة العاطلة امور مناقضة فى اصول الدين البسيط الجليلة المنزل من لدن الحضرة الالهية على رجل سليم النية

وان اي شيء لا يقبله العقل ويكون مصبوغا بصبغة الشك فانه ولا ريب يولد الارتياب والشكوك فى نفس الانسان ويحدث تشويشا وبلبلة فى ذهن الباحث عن الحقائق المجد فى استقرائها وفوق كل ذلك يقلل من ثقة الانسان بالمعتقدات الدينية لما يراه فيها من عظيم الاوهام وكثرة الاختباط والاعتباط . وان الضالة التي ينشدها الانسان انما هى الحقائق العظيمة والتمسك بالاعتقادات الصحيحة كما تدعونا اليها الحالة

الطبيعية وهـذا هو الاسلام نراه يدلنا عليها بابسط عبارة ويقول قولا معقولا مقبولا بان نجعل وجهتنا منصرفة نحو طاعة المولى القائل : — « وهو الذي خلقكم واليه ترجعون » فلتسقط جميع الاغراض البشرية وليسقط الحذر من اي دستور بشري او منفعة ذاتية وسمعة شخصية لتسقط جميع النظامات الدينية والمعتقدات السرية مهما كانت عظيمة ومهما كانت خطيرة لانحرافها عن جادة الصواب وزيغانها عن سواء السبيل الا ديانة ذاك الرجل اشرف خلق الله وخاتم المرسلين . ولكن ربما يتساءلون ألستم بذلك تستهزؤن بعقائد الناس وتستخفون بها ؟ فحقا ان الذين يقولون ان الاعتقادات الدينية ليست بشيء يذكر فانهم انما يهرفون بما لا يعرفون ولا يزنون قيمة ما يقولون كما يؤيد ذلك قول احد الخطباء الحديثين (١) حيث قال باجلى بيان « اي دار ليس فيها لايمان الانسان قيمة ؟ كلا ان هذا لا يكون فى عالم

(١) انظر كتاب « الارثوذكسية والالحاد » تأليف القس جينس روجرس في الانكليزية

الكسب الذي فيـه الايمـان يؤدي اما الى السعادة واما الى الشقاء فالانسان الجاهل الاخرق يضع ماله (اي ايمانه) فى اعمال لا تعود عليـه الا بالخسارة والحسرة والبوار فيضيع بارتيابه وهلعه فرصا هي لمن ادق منـه بصيرة واقوى ايمانا مفتاح لطرق السعادة الابدية وليس الايمان عديم القيمة فى عالم العلم والدراسة الذي اذا صار فيه استعمال مقدمة باطلة تفسد سلسلة حجج لا يلوى اهـل العلم عزما لاشتباهها فى فرض الملاحظات وضروب التجارب حتى يتبين الحق ولو مهما بالغوا فى استقرائهم فلا يرونه كثيرا طالما بذلك يمكن التوصل الى نتيجة صادقة . وليس هو عديم القيمة فى حياة الانسان الذي اذا اعتقد دينا باطلا كان ذلك سببا لهلاكه اخيرا كالسم الذي من خواصه ان لا يردي آكله سريعا . وما دام الانسان يعمل بدين ويتدين به فمن اهم الدقائق واوجب الواجبات ان يكون دينه موافقا للحقائق »

ولقد نطق الدكتور مودسلي Dr Maudsley بالحق في عبارة خطيرة وجليلة المقدار اذ قال « يجب ان الايمان بالله يكون

غاية متينة لكل انسان بل ليكن ذلك جزء من طبيعته — متدبرا
لاعماله — غارسا مع ذلك اصلاحا مبيناً نسيباً له وكل ذلك
معه كجسد واحد في الحياة الدنيا حتى متى جاءه الداعي ليسلمه
الجسم الفاني لباه بغير فزع وليس كما لو كان استسلامه لعدو
استظهر عليه . كلا بل كما لو كان الاستسلام لوالدة أمرته عند
انتهاء عمل يومه بالمنام » وبمثل هـذه العبارة يمكن ان يستدل
منها على طاعة المسلمين للارادة الالهية المقدسة

وفي الختام انبه الذين هم على قـدم الاستعداد والتأهب
لاعتناق الاسـلام مثل ما انبه أولئك الذين قد سـبق لهم
باقدامهم وشهامتهم ان نبذوا النصرانية واتخذوا الاسلام دينا
بانهم يجب ان يعلموا انهم سيضطهدون ويعيرون وان بواعثهم
التي بعثتهم على التدين بالاسـلام ستقابل بالريبة والاستهجان
فهكذا كان الحال في ايام محمد وسيبقى كذلك حتى يوم القيامة
ولذلك فان المولى قـد انزل لتعزية المسلمين وتسلية خاطرهم
نصاً في القرآن ليثبتهم في ايمانهم فقد جاء فيه ما نصه :
« يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا عليّ اسلامكم بل الله

يمن عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين . ان الله يعلم
غيب السموات والارض والله بصير بما تعملون » (١)

(١) انظر الآيات الاخيرة من سورة ٤٩ « الحجرات »

حاشية

ذكر التسعة والتسعين اسماً من اسماء الله الحسنى

اعلم ان اسم (الله) يسمى اسم الذات او الاسم الجوهري لله . والتسعة والتسعون اسماً الاخرى تسمى الاسماء الحسنى وقد المع اليها في القرآن بقوله تعالى : « ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها » (١) وهذه الآية ورد تأويلها في الحديث النبوي فروى ابوهريرة ان النبي قال : « ان لله تسعاً وتسعين اسما من احصاها دخل الجنة »

وهذه الاسماء او الصفات وردت في ذات الحديث نفسه مرتبة هكذا : —

١	الرحمن	٥	السلام
٢	الرحيم	٦	المؤمن
٣	الملك	٧	المهيمن
٤	القدوس	٨	العزيز

(١) انظر الآية ١٧٩ من السورة ٧ « الاعراف »

٩	الجبار	٢٥	المذل
١٠	المتكبر	٢٦	السميع
١١	الخالق	٢٧	البصير
١٢	البارىء	٢٨	الحكم
١٣	المصور	٢٩	العدل
١٤	الغفار	٣٠	اللطيف
١٥	القهار	٣١	الخبير
١٦	الوهاب	٣٢	الحليم
١٧	الرزاق	٣٣	العظيم
١٨	الفتاح	٣٤	الغفور
١٩	العليم	٣٥	الشكور
٢٠	القابض	٣٦	العليّ
٢١	الباسط	٣٧	الكبير
٢٢	الخافض	٣٨	الحفيظ
٢٣	الرافع	٣٩	المقيت
٢٤	المعز	٤٠	الحسيب

٤١ الجليل
٤٢ الكريم
٤٣ الرقيب
٤٤ المجيب
٤٥ الواسع
٤٦ الحكيم
٤٧ الودود
٤٨ المجيد
٤٩ الباعث
٥٠ الشهيد
٥١ الحق
٥٢ الوكيل
٥٣ القوى
٥٤ المتين
٥٥ الوليّ
٥٦ الحميد

٥٧ المحصي
٥٨ المبدئ
٥٩ المعيد
٦٠ المحي
٦١ المميت
٦٢ الحي
٦٣ القيوم
٦٤ الواجد
٦٥ الماجد
٦٦ الواحد
٦٧ الصمد
٦٨ القادر
٦٩ المقتدر
٧٠ المقدم
٧١ المؤخر
٧٢ الاول

٧٣ الآخر
٧٤ الظاهر
٧٥ الباطن
٧٦ الوالي
٧٧ المتعالي
٧٨ البرّ
٧٩ التواب
٨٠ المنتقم
٨١ العفوّ
٨٢ الرؤف
٨٣ مالك الملك
٨٤ ذوالجلال والاكرام
٨٥ المقسط

٨٦ الجامع
٨٧ الغني
٨٨ المغني
٨٩ المعطي
٩٠ المانع
٩١ الضار
٩٢ النافع
٩٣ النور
٩٤ الهادى
٩٥ البديع
٩٦ الباقى
٩٧ الوارث
٩٨ الرشيد

٩٩ الصبور

وهذه الاسماء تبتدئ او تنتهى باسم الجلالة وبذلك يتم عدد المائة اسم التي يتلوها على السبحة عادة في اويقات الفراغ

كثير من اهل الورع والتقوى من المسلمين .

انتهى

وقعت بعض هفوات مطبعية قليلة لا تخفى على القارئ اللبيب وقد رأينا ان نتدارك اهمها هنا على هذا الترتيب : —

صحيفة	سطر	خطا	صواب
١٤	٩	القيس	القسيس او القس
٣٤	١٦	نس	تونس
٣٨	٣	الطرق	الطريق
٥٨	٧	نمعنى	بمعنى
٦٣	١٣	وانطفاء	وانطفأ
٦٩	٦	اللام	السلام
٧٤	٩	تخيل	تخيلا
٧٨	٦	حاجة	حاجّه
٧٨	٧	اتحاجونى	اتحاجونّى

شكر واعتذار

يشكر مترجم هذا الكتاب حضرات الافاضل الذين ارسلوا اليه بتقاريظهم ويثني عليهم اجمل الثناء كما يعتذر لهم عن عدم درجها لضيق المقام واضطراره الى سرعة انجاز الكتاب وقت طبعه اجابة للذين اشتركوا فيه والذين بادروا لشراءه وهو تحت الطبع فعسى ان لا يضنوا عليه بالصفح فللضرورة كما يعلمون احكام والعذر مقبول عند الكرام ﴿ المترجم ﴾

الى مترجم هذا الكتاب وهو يرسل له مرغوبه عند ورود طلبه الى اي جهة كانت بدون تأخير . والطلب يجب ان يكون مسوكراً ومصحوبا بالقيمة المذكورة ليكون الراسل على ثقة من وصول الكتاب اليه . اما عنواننا فيكون هكذا : —

محمد ضيا بشارع المجاهدين باسيوط (بالقطر المصري)

﴿ آداب النساء التركية وتعليمهن في الاستانة العلية ﴾

— او —

﴿ المرأة في الاسلام خصوصاً والشرق عموماً ﴾

(تحت الطبع)

هو كتاب جليل يهم كل محب للاستطلاع واستقراء الحقائق ان يقف عليه لما فيه من المباحث الجليلة ودفع تهمة التأخر والانحطاط التي ينسبونها للدين الاسلامي بالبراهين العقلية والادلة التاريخية مع بيان قيمة المرأة في الاسلام والاحصائيات الوافية عن مدارس البنات في الاستانة العلية

والتقدم الذي حصل فيها في هذه السنوات الاخيرة بمحض عناية جلالة مولانا الخليفة الحالي السلطان (عبد الحميد خان الثاني) وذكر المؤلفات التي ألفتها السيدات العثمانيات في هذا العصر و الخ الخ . وهذا الكتاب القته السنيوريته اسميرالدة سرڤانتس المستشرقة الشهيرة كخطاب على مؤتمر النساء في معرض كولمبيا الاخير باميركا . ولاهميته جمع وطبع ككتاب في اميركا باللغة الانكليزية وقد عنينا بترجمته الى العربية كما عني القوم بجمعه وطبعه الى لغتهم وقد جاءت الترجمة مطابقة للذوق العربي وفي غاية السلاسة بحيث لا يمل القارئ منه ولا يتركه كل من يطلع عليه وهو يباع في المكاتب التي يباع فيها كتابنا ـ العقيدة الاسلامية ـ ويطلب ايضاً من مترجمه الذي يتعهد بارساله وارسال كلما يطلب منه بدون تاخير الى كل الجهات سواء كانت داخل القطر او خارجه . اما قيمته فلا تزيد عن قرشين صاغ او نصف فرنك وذلك تسهيلا لاقتنائه واجرته في البريد نصف قرش . هذا وللمترجم كتب اخرى بعضها تاليف والبعض الآخر ترجمة ولكن يمنعه عن

طبعها كساد سوق العلم والمطبوعات فى مصر وبقية الاقطار الشرقيـة الى حد يثبط الهمم ويقعد المجتهدين على انه لا يأل جهدا في طبعها كلما حانت الفرص والله ولي التوفيق

﴿ الهدية الشرقية الدينية ﴾

طبعنا هـذا الكتـاب لاول مرة في اواخر سنة ١٨٩٥ افرنكية وكنا قد طبعنا منه ٢٠٠٠ نسخة وما مضى على طبعه قليل من الزمن حتى كادت ان تنفد جميع هذه النسخ التي لم يبق لدينا منها الا ٥٠ واحدة فقط وهو امر غريب لم نعهده من قبل في بلادنا المصرية . هذا العدد الباقي في اول ان بعض اهل الفضل والادب يطلبونه اما هذا الكتاب فانه اول كتاب ترجمناه وفيه مقارنة بين القرآن والانجيل آية بآية واستنتاج من كل مقارنة ويتلو ذلك فذلكة وضعناها من قلمنا عن الاسلام في انكلتره وكيفية دخوله فيها وانتشاره بين بعض بنيها مما تتوق على الاطلاع عليه نفس كل اديب وثمن هذا الكتاب ٣ قروش صاغ يرسل خالي اجرة البريد الى اي جهة . وسنعيد طبعه في السنة الآتية ونجعله على قسمين اذا ساعدنا الحظ ان شاء الله

﴿ تنبيـه ﴾

كل نسخة من كتابنا هذا المسمى ﴿ العقيدة الاسلامية ﴾ تعتبر مسروقة ويحاكم من تضبط معه امام جهة الاختصاص ان لم تكن مختومة بختمنا هذا :—